مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، - المجلد (١٧)، العدد (٤)، ص ص ٣٤٦٦ – ٣٥١٩ (شعبان ١٤٤٥هـ /مارس٢٠٢٤م)

المعنى الجامع عند ابن سعدي في تفسيره (دراسة منهجية)

إعداد: سارة بنت سعد بن فواز الصميل

باحثة ماجستير في قسم القرآن وعلومه بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم

ملخص البحث:

يسعى البحث لدراسة المعنى الجامع عند ابن سعدي، ومنهجه فيه، وعلاقته بأقوال السلف، والصياغة التفسيرية لهذا المعنى الجامع، كما يكشف عن منزلة المعنى الجامع عند ابن سعدي في تفسيره، واقتضت طبيعة البحث سلوك المنهج الاستقرائي والوصفي التحليلي، ومن أهم النتائج التي خلص إليها البحث ما يلي:

أن ابن سعدي قد تعامل بالمعنى الجامع مع أقوال السلف التي من قبيل خلاف التنوع سواء كانت ترجع إلى معنى واحد، أم إلى أكثر من معنى، كما أن دلالة المعنى الجامع على أقوال السلف إما صراحة بما يورده تمثيلًا وحصرًا، وإما إشارة بما يُضمّنه المعنى الجامع من أقوال، وقد تنوعت أساليب الصياغة التفسيرية للمعنى الجامع عنده، وتجلّت منزلة المعنى الجامع بكثرة تطبيقاته وتنوع أساليبه، وتحريره لألفاظه، وتقديم القول الجامع من أقوال السلف واعتباره.

ويوصي الباحث طلبة الدراسات العليا في تخصص القرآن وعلومه: بدراسة المعنى الجامع عند ابن سعدي دراسة تطبيقية.

كلمات مفتاحية: المعنى الجامع–تفسير ابن سعدي–أقوال السلف.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، - المجلد (١٧)، العدد (٤)، ص ص ٣٤٦٦ – ٣٥١٩ (شعبان ١٤٤٥هـ /مارس٢٠٢٤م)

سارة بنت سعد بن فواز الصميل

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل الفرقان، وعلَّم البيان، وأرسل رسوله محمدًا ﷺ هداية للأنام، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان، ثمَّ أما بعد:

فلا ريب أنَّ أفقه الناسِ بالقرآن الكريم هم سلف الأمة الذين زكاهم رسول الله ﷺ بقوله: "خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم"(١)، فتفسيرهم للقرآن مُقدَّم، وكلامهم فيه حَكم، تلقته الأمة بالقبول جيلًا بعد جيل، واستقى منه العلماء على مرَّ القرون معاني القرآن، وانتهجوا طريقتهم في البيان، "وحسب من بعدهم من الفضل أن يسير خلفهم، ويأتمَّ بهداهم"(٢)، ومن هؤلاء العلماء الذين اعتمدوا آثار السلف في تفسيرهم؛ الإمام العلامة عبدالرحمن بن ناصر بن سعدي [ت:١٣٧٦هـ] حيث كانت له عناية فائقة بتفسير السلف رضي الله عنهم، وسلوك جادتهم، فكتب تفسيره "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان"؛ بألفاظ مسبوكة ومعانٍ محرَّرة، معتمدًا أقوال السلف في تفسير القرآن الكريم، متعاملًا معها بطرق متنوعة، فمن خلال جرد التفسير وموازنته بأقوال السلف الواردة في تفسير ابن جرير الطبري –كونه أهم مورد لتفسير السلف–، تبين أن ابن سعدي قد سلك طرقًا متنوعة في تعامله مع أقوال السلف، وكان من أبرز هذه الطرق وأكثرها تميزًا في تفسيره: تعامله مع الأقوال بالمعنى الجامع.

ومن هنا قوي عزمي لإبراز هذا الجانب المميز عند ابن سعدي في تفسيره، فكان هذا البحث بعنوان: (**المعنى الجامع عند ابن سعدي في تفسيره –دراسة منهجية–**)، وأسأل الكريم الرحمن التيسير، وأستمد منه التسديد إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أهمية البحث:

١- كونُ تفسير ابن سعدي من التفاسير السائرة على منهج السلف؛ مع ذلك فليس هناك دراسة مفردة تبين منهجيته في تعامله مع أقوال السلف وتبرز المعنى الجامع لأقوال السلف الذي تميّز به.

٢- أن لابن سعدي طريقة متفردة بنى عليها تفسيره، أسَّسها على أقوال السلف اطلاعًا وفهمًا واستيعابًا، ثم سلك في

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم: ٣٦٥١.

(٢) تفسير ابن سعدي (٤/١٨٠٤).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، - المجلد (١٧)، العدد (٤)، ص ص ٣٤٦٦ – ٣٥١٩ (شعبان ١٤٤٥هـ /مارس٢٠٢٤م)

التعامل معها طرقًا متنوعة، فبحسب القراءة الجردية للتفسير ووقوفًا على (٧٢٧) موضعًا عند ابن سعدي، وبعد تأملها ومقارنتها بأقوال السلف؛ تم الكشف عن سبعة طرق متنوعة تعامل فيها ابن سعدي مع أقوال السلف، وكان من أبرزها: طريقة المعنى الجامع، مما استدعى وجود هذه الدراسة.

٣- عناية ابن سعدي بالمعنى الجامع لأقوال السلف وتميزه في هذا الجانب، فقد جمعت من خلال جردي للتفسير (١٩٧) موضعًا، تفنن ابن سعدي في تحرير معنى جامع لها، حتى أنه قد يرِد في بعض المواضع سبعة أقوال للسلف؛ فيجمعها ابن سعدي بعبارة بديعة جامعة.

٤- أن ابن سعدي من العلماء الذين برعوا في علوم مختلفة؛ انعكس أثرها على بيانه وتحريره لأقوال السلف في تفسيره.

٥- أن الدراسة تنمّي لدى الباحث جانباً تأصيليًا في المنهجية التي يتعامل فيها مع أقوال السلف في التفسير.

مشكلة البحث:

أن لابن سعدي طريقة متميزة في تعامله مع أقوال السلف بالمعنى الجامع في تفسيره؛ مما يطرح عدة سؤالات:

ما منهج ابن سعدي في المعنى الجامع لأقوال السلف؟ وما الصياغة التفسيرية التي بُني عليها المعنى الجامع؟ وما منزلة المعنى الجامع عند ابن سعدي في تفسيره؟

أهداف البحث:

١- دراسة منهج ابن سعدي في المعنى الجامع لأقوال السلف في تفسيره.

٢- إظهار العلاقة بين أقوال السلف والمعنى الجامع عند ابن سعدي.

٣- الكشف عن الصياغة التفسيرية للمعنى الجامع لأقوال السلف عند ابن سعدي.

٤- إبراز منزلة المعنى الجامع لأقوال السلف عند ابن سعدي في تفسيره.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، – المجلد (١٧)، العدد (٤)، ص ص ٣٤٦٦ – ٣٥١٩ (شعبان ١٤٤٥هـ /مارس٢٠٢٤م)

الدراسات السابقة:

هناك عدد من الدراسات تناولت تفسير ابن سعدي بالبحث والدراسة، وبعد فحصها والنظر فيها تبين عدم وجود دراسة تطرّقت لموضوع المعنى الجامع عند ابن سعدي في تفسيره، وتفصيل ما وقفت عليه من دراسات تتعلّق بتفسير ابن سعدي ما يلي:

أولًا: الدراسات التي تناولت منهج ابن سعدي في التفسير:

١- الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي مفسراً، للباحث: عبد الله السابح الطيَّار، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام ١٤٠٦هـ.

٢- العلامة الشيخ ابن سعدي وجهوده في التفسير، للباحث: علي الأمين، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، جامعة أم درمان الإسلامية، عام ١٤٢٣هـ.

٣- منهج الشيخ السعدي في تفسيره: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للباحث: ناصر المرنخ، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، جامعة غزة، عام ١٤٢٣هـ.

٤- منهج الشيخ عبد الرحمن في كتابه: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للباحث: فيروز محمد حسن، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، جامعة أم درمان الإسلامية، عام ١٤٢٥هـ.

٥- منهج الإمام السعدي في كتابه تيسير الكريم المنان –دراسة وصفية تحليلية–، للباحث: الخضر عبد الله اليافعي، رسالة ماجستير، في جامعة القرآن والعلوم الإسلامية في السودان، عام ١٤٣٩هـ.

وهذه الدراسات اهتمت بابن سعدي المفسر ومؤلفاته في التفسير، ومنهجه في التفسير بشكل عام، ولم تتطرق لتعامل ابن سعدي مع أقوال السلف بالمعنى الجامع في تفسيره، والتي تسعى دراستي لتحريره والكشف عنه بإذن الله تعالى.

ثانياً: الدراسات التي تناولت قواعد التفسير عند ابن سعدي:

١- قواعد التفسير عند ابن سعدي بين التنظير والتطبيق، للباحث: هشام شوقي، رسالة ماجستير، من جامعة

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، - المجلد (١٧)، العدد (٤)، ص ص ٣٤٦٦ – ٣٥١٩ (شعبان ١٤٤٥هـ /مارس٢٠٢٤م)

الحاج لخضر، الجزائر، عام ١٤٣١هـ.

٢- قواعد التفسير عند ابن سعدي -دراسة تطبيقية-، للباحثة: إيمان الحسن، وهي رسالة ماجستير في كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام ١٤٣٦هـ.

٣- قواعد الترجيح عند ابن سعدي من خلال تفسيره تيسير الكريم الرحمن، للباحث: عبد الرحمن بن عبد الله عبد الرحيم، رسالة ماجستير، في كلية أصول الدين، جامعة أم درمان الإسلامية، ١٤٣٤هـ.

وهذه الدراسات تتركز في موضوع القواعد التي ذكرها أو أعملها ابن سعدي في تفسيره، دون النظر لأقوال السلف في مواضعها وكيفية تعامل ابن سعدي معها فليس هو محل بحثها واهتمامها، وأما دراستي فإن موضوعها دراسة تعامله مع أقوال السلف بالمعنى الجامع وتحرير ذلك على وجه الخصوص.

حدود البحث:

سيقتصر هذا البحث على المواضع التي تعامل فيها ابن سعدي مع أقوال السلف في تفسيره: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، وبلغت بحسب الجرد للتفسير (١٩٧) موضعًا، وذلك اعتمادًا على طبعة دار ابن الجوزي الواقعة في أربعة مجلدات.

منهج البحث وإجراءاته:

١- المنهج الاستقرائي؛ وذلك باستقراء تفسير ابن سعدي، وموازنته بكتب التفسير بالمأثور، والوقوف على المواضع التي تعامل فيها مع أقوال السلف بالمعنى الجامع، ثم جمعها وتدوينها، وقد بلغت نحو (١٩٧) موضعًا.

٢- المنهج الوصفي التحليلي؛ وذلك بدراسة المواضع وموازنتها بأقوال السلف، ثم تحليلها للوصول إلى وصف منهجية ابن سعدي في تعامله مع أقوال السلف بالمعنى الجامع.

٣- كتابة الآيات بالرسم العثماني، اعتمادًا على مصحف المدينة النبوية، وعزوها بذكر اسم السورة ورقم الآية في متن الرسالة.

٤- تخريج الأحاديث من مصادرها الأصلية.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، - المجلد (١٧)، العدد (٤)، ص ص ٣٤٦٦ – ٣٥١٩ (شعبان ١٤٤٥هـ /مارس٢٠٢٤م)

٥- توثيق النّقولات من مصادرها الأصليّة.

٦- بيان الألفاظ الغريبة مع ضبطها بالشكل.

٧- لم أترجم للأعلام حتى لا أثقل الحواشي.

خطة البحث:

تتكون خطة البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة وفهرس على النحو التالي:

المقدمة: وفيها أهمية البحث، ومشكلته، وأهدافه، والدراسات السابقة، وحدود البحث، ومنهج البحث وإجراءاته، وخطة البحث.

التمهيد.

المبحث الأول: منهج ابن سعدي في المعنى الجامع وعلاقته بأقوال السلف.

المطلب الأول: منهجه في المعنى الجامع وعلاقته بالتفسير النبوي للآية.

المطلب الثاني: منهجه في المعنى الجامع باعتبار الاختلاف بين أقوال السلف.

المطلب الثالث: منهجه في المعنى الجامع باعتبار إيراد أقوال السلف وعدمه.

المطلب الرابع: منهجه في المعنى الجامع وعلاقته بالحمل على العموم.

المبحث الثاني: صياغة المعنى الجامع عند ابن سعدي.

المطلب الأول: الصياغة التفسيرية للمعنى الجامع على سبيل التفصيل.

المطلب الثاني: الصياغة التفسيرية للمعنى الجامع على سبيل الإيجاز.

المبحث الثالث: منزلة المعنى الجامع عند ابن سعدي.

المطلب الأول: عناية ابن سعدي بالألفاظ القرآنية الجامعة عمومًا.

المطلب الثاني: تقديم ابن سعدي لقول السلف الجامع للأقوال الأخرى في الآية.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، - المجلد (١٧)، العدد (٤)، ص ص ٣٤٦٦ – ٣٥١٩ (شعبان ١٤٤٥هـ /مارس٢٠٢٤م)

المطلب الثالث: تحرير ابن سعدي المعنى الجامع لأقوال السلف في التفسير.

المطلب الرابع: كثرة تطبيقات المعنى الجامع عند ابن سعدي في تفسيره.

الخاتمة وفيها: أهم النتائج والتوصيات.

ثبت المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، – المجلد (١٧)، العدد (٤)، ص ص ٣٤٦٦ – ٣٥١٩ (شعبان ١٤٤٥هـ /مارس٢٠٢٤م)

التمهيد

إنَّ أحد الطرق التي يسلكها المفسرون في التعامل مع أقوال السلف المتعددة، جمعها في معنى جامعٍ يعبّر عنها كلها، ويمكن في توصيف المعنى الجامع أن يُقال: أنه ذلك المعنى الكليّ الذي ترجع إليه أقوال السلف المتنوعة، والتي يمكن من خلاله التعبير عنها.

قال سفيان بن عيينة: "ليس في تفسير القرآن اختلاف، إنما هو كلام جامع يُراد به هذا وهذا"(٣).

وقد قرَّر الشاطبي أنَّ هناك نوعًا من الخلاف لا يُعتدّ به، فالنظر في الأقوال وتأملها يجعلها يؤول إلى معنى واحد، قال: "فتجد المفسرين ينقلون عن السلف في معاني ألفاظ الكتاب أقوالًا مختلفة في الظاهر، فإذا اعتبرتها وجدتها تتلاقى على العبارة كالمعنى الواحد، والأقوال إذا أمكن اجتماعها والقول بجميعها من غير إخلال بمقصد القائل، فلا يصحّ نقل الخلاف فيها عنه"(٤)، والتعامل مع أقوال السلف بالمعنى الجامع وجه من أوجه حسن التعامل مع هذا النوع من الخلاف.

ومن تأمّل تفسير ابن جرير الطبري وَجَد عنده تفسيرات يصحّ وصفها بالمعنى الجامع، فهي تطبيقات عملية يمكن الإفادة منها في تأصيل هذا المنهج في التعامل مع أقوال السلف المتنوعة، ومن ذلك ما فصّله في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة:٦] فقال: "والذي هو أولى بتأويل هذه الآية عندي أعني: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ أن يكون معنيًّا به: وفِّقنا للثبات على ما ارتضيته ووفقتَ له من أنعمت عليه من عبادك، من قول وعمل، وذلك هو الصراط المستقيم؛ لأنَّ من وُفّق لما وُفّق له من أنعم الله عليه من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فقد وُفّق للإسلام، وتصديق الرسل، والتمسك بالكتاب، والعمل بما أمره الله به، والانزجار عما زجره عنه، واتباع منهاج النبي ﷺ ومنهاج أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، رضي الله عنهم أجمعين، وكلِّ عبدٍ لله صالح، وكلُّ ذلك من الصراط المستقيم"(٥)، ثم قال مقعدًا: "وقد اختلفت تَراجِمةُ القرآن في المعنيّ بالصراط المستقيم، **يشملُ معانيَ جميعهم** في ذلك

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في سننه، برقم:١٠٦١ (٣١٢/٥).

(٤) الموافقات، الشاطبي (٢١٠/٥).

(٥) تفسير الطبري (١/ ١٧١).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، - المجلد (١٧)، العدد (٤)، ص ص ٣٤٦٦ – ٣٥١٩ (شعبان ١٤٤٥هـ /مارس٢٠٢٤م)

ما أخبرنا من التأويل فيه"[٦]، ثم ساق أقوال السلف بأسانيده.

فتقديم الطبري للمعنى الجامع لأقوال السلف، مع تفصيله لشمول المعنى وتضمنه جميع ما ورد عن السلف، وتصريحه بأن ذلك يشمل معاني جميعهم، يدل على منهجيةٍ معتبرة عنده في معالجة أقوال السلف بهذه الطريقة.

كما تعامل ابن عطية مع أقوال السلف في تفسيره بالمعنى الجامع، بل صرّح باسمه، ومن ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ١٩ ﴾ [الذاريات:١٩] قال: "واختلف الناس في المحروم اختلافًا هو عندي تخليط من المتأخرين؛ إذ المعنى واحد، وإنما عبّر علماءُ السلف في ذلك العبارات على جهة المثلات، فجعلها المتأخرون أقوالًا... [ثم ذكر بعض هذه الأقوال، حتى قال] إلى غير ذلك من الأقوال التي إنما ذُكرت مثالًا، كأنه يقول: الذي أصيبت ثمرته من المحرومين، **والمعنى الجامع لهذه الأقوال**: أنه الذي لا مال له لحرمانٍ أصابه"[٧]. فجمع أقوالهم التي وصفها بأنها أمثلة؛ في عبارة واحدة سمّاها المعنى الجامع.

وأما ابن الجوزي فقد عالج تعدد الأقوال أيضًا بجمعها على معنى واحد، ومن هذه المواضع في تفسيره؛ ما ذكره بعد أن ساق الأقوال في سبب نزول قوله تعالى: ﴿ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [الحجرات:١] قال: "**ومعنى الآية على جميع الأقوال**: لا تعجلوا بقولٍ أو فعلٍ قبل أن يقول رسول الله ﷺ أو يفعل"[٨].

وممن نصّ على المعنى الجامع وتعامل به مع أقوال السلف المتنوعة؛ القرطبي في أحكام القرآن، ففي قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ ﴾ [القلم:٥١]، لما ذكر أقوال السلف في معنى ﴿ لَيُزۡلِقُونَكَ ﴾ قال: "وهذا كله راجع إلى ما ذكرنا[٩]، وأنَّ **المعنى الجامع**: يصيبونك بالعين، والله أعلم"[١٠].

---

(٦) تفسير الطبري (١/ ١٧٢)، وينظر أيضًا تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُ ﴾ (١٢/٥).

(٧) المحرر الوجيز، ابن عطية (٦٨/٨).

(٨) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي (٤٥٥/٧).

(٩) يعني ما ذكره من أقوال السلف، وقد ساق جمعًا من الأقوال منها؛ "يَنفُذُونك بأبصارهم"، و"يصرعونك"، و"يصرفونك عما أنت عليه من تبليغ الرسالة"، و"يرمونك"، و" يمسّونك"، و"يقتلونك" وغير ذلك. ينظر: أحكام القرآن (١٨٧/٢٠).

(١٠) الجامع في أحكام القرآن، القرطبي (١٨٧/٢٠).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، - المجلد (١٧)، العدد (٤)، ص ص ٣٤٦٦ – ٣٥١٩ (شعبان ١٤٤٥هـ /مارس٢٠٢٤م)

وأما ابن تيمية فقد ذكر في سياق الجواب على سؤال وُجّه إليه في الاختلاف بين المفسرين أنَّ من أنواع خلاف التنوع بين السلف أن يفسَّر بعضهم معنى اللفظ على سبيل التمثيل لا الحد أو الحصر أو الإحاطة، وأن المراد هو المعنى الجامع لأقوالهم، فقال: "وهذا كما إذا سُئلوا عن قوله: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [فاطر:٢٢]، أو عن قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل:١٢٨] أو عن الصالحين، أو الظالمين، ونحو ذلك من **الأسماء العامة الجامعة** التي قد يتعسر أو يتعذر على المستمع أو المتكلم ضبط **مجموع معناه،** إذ لا يكون محتاجًا إلى ذلك، فيذكر له من أنواعه وأشخاصه ما يحصل به غرضه وقد يستدل به على نظائره، فإن الظالم لنفسه: هو تارك المأمور فاعل المحظور، والمقتصد: هو فاعل الواجب وتارك المحرم، والسابق: هو فاعل الواجب والمستحب وتارك المحرم والمكروه..."(١١)، وقال في موضع آخر: "فالقول الجامع أن الظالم لنفسه هو المفرّط بترك مأمور أو فعل محظور،..."(١٢)، وهذا في الحقيقة يُعدّ تأصيلًا وتطبيقًا عمليًا للتعامل مع أقوال السلف المتنوعة بالمعنى الجامع.

وأما ابن كثير فقد سماه: مجمع الأقوال، ويقصد به القول من أقوال السلف الذي تجتمع فيه الأقوال الأخرى، فبعد أن ذكر أقوال السلف في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ﴾ [الأنفال:٣٠] قال: "وقال السدي: الإثبات: هو الحبس والوثاق، وهذا يشمل ما قاله هؤلاء وهؤلاء(١٣)، **وهو مجمع الأقوال**"(١٤).

كما عبَّر عنه ابن القيم بالحقيقة الجامعة، في بيانه للمسألة العشرين في قول الله تعالى: ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٦]: حيث قال: "ما هو الصراط المستقيم: فنذكر فيه قولًا وجيزاً، فإن الناس قد تنوعت عباراتهم فيه، وترجمتهم عنه بحسب صفاته ومتعلقاته، وحقيقته شيءٌ واحد وهو: طريق الله الذي يرتضيه لعباده، موصلًا لهم إليه، ولا طريق إليه سواه، بل الطرق كلها

---

(١١) مجموع الفتاوى (٣٨٣/١٣).

(١٢) مجموع الفتاوى (١٦١/٥).

(١٣) يشير إلى أقوال السلف التي ذكرها، وهي: "ليقيّدوك" و"ليحبسوك".

(١٤) تفسير ابن كثير (١٨٧/٤).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، - المجلد (١٧)، العدد (٤)، ص ص ٣٤٦٦ – ٣٥١٩ (شعبان ١٤٤٥هـ /مارس٢٠٢٤م)

مسدودة على الخلق إلا طريقه الذي نصبه على ألسن رسله وجعله موصلاً لعباده إليه... وأما ما عدا هذا من الأقوال كقول من قال: الصلوات الخمس، وقول من قال: حب أبي بكر وعمر، وقول من قال: هو أركان الإسلام الخمس التي بُني عليها، فكل هذه الأقوال تمثيل وتنويع، لا تفسير مطابق له، بل هي جزء من أجزائه **وحقيقته الجامعة** ما تقدم، والله أعلم"(١٥)، وعبّر عنه في موضع آخر بالأمر الجامع، وذلك عند قول الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء:٨٩]: قال: "قد اختلفت عبارات الناس في معنى القلب السليم، **والأمر الجامع** لذلك: أنه الذي قد سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه، ومن كل شبهة تعارض خبره..."(١٦).

ومِن أول مَن وقفت عليه من المفسرين في التصريح بسلوك هذا المنهج في التعامل مع الأقوال المختلفة في التفسير؛ ابن جزي الكلبي، حيث قال في مقدمة تفسيره: "واعلم أنّ التفسير منه متفق عليه ومختلف فيه، ثم إنّ المختلف فيه على ثلاثة أنواع: أحدها: اختلاف في العبارة مع اتفاق في المعنى، فهذا عدّه كثير من المؤلفين في التفسير خلافًا، وليس في الحقيقة بخلاف؛ لاتفاق معناه، وجعلناه نحن قولًا واحدًا، وعبّرنا عنه بأحد عبارات المتقدّمين، أو بما يقرب منها، أو بما **يجمع معانيها**"(١٧). والأخيرة هي المقصودة بالبحث هنا.

وعلى ضوء ما سبق من نصوص المفسرين تبين -بإيجاز- أصالة هذه الطريقة في التعامل مع أقوال السلف.

هذا وقد كان من منهج ابن سعدي التعامل مع أقوال السلف المتنوعة بمعالجتها وتحليلها والنظر في معانيها، ومن ذلك قوله: «**وكذلك الأقوال التي يقولها المفسرون إذا تعددت فإنَّ البصير بإمكانه أن يجعل جميعها داخلة في المعنى، ومرادة منه حيث احتملها اللفظ، ولا ينبغي أن يحملها على التباين والاختلاف**»(١٨)، وكانت أحد أهم الطرق التي تميّز بها ابن سعدي في تفسيره، تعامله مع أقوال السلف بالمعنى الجامع، فكان تفسيره حافلًا بالتطبيقات العملية لهذا المفهوم، مما استدعى دراسة منهجه لذلك في تفسيره.

---

(١٥) بدائع الفوائد، ابن القيم (٤٥٢/٢).

(١٦) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (٤١/١).

(١٧) التسهيل لعلوم التنزيل (٧٤/١).

(١٨) قطعة من مختصر التفسير، مجموع مؤلفات الشيخ السعدي (٨/٣).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، - المجلد (١٧)، العدد (٤)، ص ص ٣٤٦٦ – ٣٥١٩ (شعبان ١٤٤٥هـ /مارس٢٠٢٤م)

المبحث الأول: منهج ابن سعدي في المعنى الجامع وعلاقته بأقوال السلف

إنَّ تطبيقات ابن سعدي في تفسيره تعطي صورة تكامليّة عن منهجه في المعنى الجامع، وتكشف عن الجهد الذي بذله في بيان معاني كلام الرحمن مستندًا على أقوال السلف؛ متعاملًا مع تعددها وتنوعها بأقرب الطرق فهمًا وبيانًا.

وتأتي معالجته لأقوال السلف بالمعنى الجامع في الأقوال التي يكون اختلافها من قبيل التنوع، فيذكر المعنى الكلي الجامع الذي ترجع إليه هذه الأقوال.

وفي هذا المبحث سيتبين منهجه في المعنى الجامع وعلاقته بأقوال السلف، مع إيراد الأمثلة من تفسيره على نحو المطالب التالية:

المطلب الأول: منهجه في المعنى الجامع وعلاقته بالتفسير النبوي للآية

لقد أفاد ابن سعدي من التفسير النبوي للقرآن الكريم في مواضع كثيرة من تفسيره، وفي هذا المطلب ستتبين عنايته بالتفسير النبوي بجانب المعنى الجامع على وجه الخصوص، ولا شك أن عنايته بالتفسير النبوي راجعة لمكانة هذا التفسير وأوليّته في تفسير مراد الله، لذا فإنك تجده يذكر المعنى الجامع ويسوق معه التفسير النبوي، قد ينصّ على ورود هذا التفسير عن النبي ﷺ، وقد تكون إفادته من التفسير النبوي ظاهرة ولو لم ينص على ذلك، وفيما يأتي مثال لكل منهما:

في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ ﴾ [الكوثر:١]

رُوي في معنى الكوثر عن ابن عمر ﷺ أنه نهر في الجنّة[١٩]، وبمثله عن أنس وابن عباس وعائشة ﷺ وأبي العالية ومجاهد[٢٠]، وعن ابن عباس ﷺ -في رواية-قال: "هو الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه"[٢١]، وبمثله عن مجاهد وسعيد بن

(١٩) أخرجه الطبري في تفسيره (٦٧٩/٢٤).

(٢٠) أخرجه الطبري في تفسيره (٦٨٠/٢٤).

(٢١) أخرجه الطبري في تفسيره (٦٨٢/٢٤).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، - المجلد (١٧)، العدد (٤)، ص ص ٣٤٦٦ – ٣٥١٩ (شعبان ١٤٤٥هـ /مارس٢٠٢٤م)

جُبير[٢٢]، وعن عكرمة قال: "ما أُعطي النبي ﷺ من الخير والنبوة والقرآن"[٢٣]، وعن الحسن البصري قال: "الكوثر: القرآن"[٢٤]، وعن عطاء قال: "هو حوض في الجنة أعطيه رسول الله ﷺ"[٢٥].

قال ابن سعدي في تفسيره: «**يقول الله تعالى لنبيّه محمد ﷺ ممتنًا عليه: ﴿ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ أي: الخير الكثير، والفضل الغزير، الذي من جملته ما يُعطيه الله لنبيه ﷺ يوم القيامة، من النهر الذي يُقال له ﴿ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾ ومن الحوض طوله شهر، وعرضه شهر، ماؤه أشدّ بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، آنيته كنجوم السماء في كثرتها واستنارتها، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا**»[٢٦].

فسّر ابن سعدي معنى الكوثر بأحد أقوال السلف الذي يمثّل المعنى الجامع للأقوال الأخرى، وهو: الخير الكثير، وهذا قول ابن عباس ﷺ ومجاهد وسعيد بن جبير، ثمّ ذكر بعد ذلك أن من جملة هذا المعنى: «النهر الذي يُقال له ﴿ٱلۡكَوۡثَرَ﴾» وهذا هو التفسير النبوي للآية الكريمة، كما أنه موافق لقول ابن عمر وأنس وابن عباس وعائشة ﷺ، وقوله: «ومن الحوض» رُوي كذلك عن عطاء.

وإفادة ابن سعدي من التفسير النبوي للآية في هذا الموضع مع عدم تصريحه بها = ظاهرة، فقد ذكر من أوصاف النهر التي وصفه بها رسول الله ﷺ في الأحاديث الصحيحة، ومنها:

– ما جاء عن أنس بن مالك ﷺ قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءةً ثم رفع رأسه مُتبسّمًا فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله، قال: "أُنزلت عليّ آنفًا سورة"، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾ حتى ختمها. ثم قال: "أتدرون ما الكوثر؟" فقلنا: الله ورسوله أعلم. قال: "فإنه نهر وعدنيه

(٢٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٦٨٤/٢٤).

(٢٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٦٨٤/٢٤).

(٢٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٧٠٣/١٥) إلى ابن أبي حاتم.

(٢٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٦٨٥/٢٤).

(٢٦) تفسير ابن سعدي (١٩٩٦/٤).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، - المجلد (١٧)، العدد (٤)، ص ص ٣٤٦٦ – ٣٥١٩ (شعبان ١٤٤٥هـ /مارس٢٠٢٤م)

عز وجل، عليه خيرٌ كثير، هو حوضٌ ترِد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم، فيُختلج العبدُ منهم، فأقول: ربّ، إنه من أمتي. فيقول: ما تدري ما أحدثتْ بعدك"(٢٧).

– ما جاء عن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: قال النبي ﷺ:"حوضي مسيرة شهر(٢٨)، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منها فلا يظمأ أبدًا"(٢٩).

وهذا التفسير النبوي للآية صريح في ذكر النهر، وصفته، وقد نص ابن سعدي أن من جملة الخير الذي أعطاه الله لنبيه ﷺ هذا النهر وذكر وصفه الذي ورد في الأحاديث، وهذه المعالجة للتفسير النبوي ولأقوال السلف مقاربة لما جاء عن سعيد بن جبير –من طريق أبي بشر– في الأثر الذي يرويه عن ابن عباس ﷺ أنه قال: "الكوثر: الخير الذي أعطاه الله إياه" قال أبو بشر: قلت لسعيد بن جبير: فإن ناسًا يزعمون أنه نهر الجنة، قال: "النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه"(٣٠).

ومن الأمثلة أيضًا:

في قوله تعالى: ﴿ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرعد:٢٩]

رُوي عن السلف في معنى ﴿ طُوبَىٰ لَهُمْ ﴾ عن أبي هريرة وابن عباس ﷺ: أنها شجرة في الجنة(٣١)، وعن ابن عباس ﷺ

(٢٧) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الصلاة، ب: حجة من قال البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة، ح:٤٠٠ (٣٠٠/١).

(٢٨) وفي رواية عند أحمد "وزواياه سواء –يعني عرضه مثل طوله–"، ح:١٥١٢١ (٣٣٢/٢٣).

(٢٩) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الرقاق، ب: في الحوض، ح:٦٥٧٩، (١١٩/٨)، ومسلم في صحيحه، ك: الفضائل، ب: إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، ح: ٢٢٩٢، (١٧٩٣/٤)، واللفظ للبخاري.

(٣٠) أخرجه الطبري في تفسيره (٦٨٢/٢٤).

(٣١) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٢٤/١٣).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، - المجلد (١٧)، العدد (٤)، ص ص ٣٤٦٦ – ٣٥١٩ (شعبان ١٤٤٥هـ /مارس٢٠٢٤م)

أيضًا: أنها اسم من أسماء الجنة[٣٢]، وبمثله عن مجاهد وعكرمة[٣٣]، وعنه ﷺ -أيضًا- قال: "فرح وقرة عين"[٣٤]، وعن إبراهيم النخعي قال: "الخير والكرامة التي أعطاهم الله"[٣٥]، وعن الضحاك: غبطة لهم[٣٦]، وعن قتادة قوله: "حُسنى لهم، وهي كلمة من كلام العرب"[٣٧].

قال ابن سعدي في تفسيره: **«أي: لهم حالةٌ طيبةٌ ومرجع حسنٌ، وذلك بما ينالون من رضوان الله وكرامته في الدنيا والآخرة، وإنَّ لهم كمال الراحة وتمام الطمأنينة، ومن جملة ذلك: شجرة طوبى التي في الجنة، التي يسير الراكب في ظلِّها مائة عام ما يقطعها؛ كما وردت بها الأحاديث الصحيحة»**[٣٨].

فسّر ابن سعدي كلمة طوبى بقوله: **«**حالةٌ طيبةٌ ومرجع حسنٌ**»** وهي كلمة جامعة لما قيل فيها، ثم ذكر التفسير النبوي لهذه الكلمة لمزيد العناية بها، فقال: **«**ومن جملة ذلك: شجرة طوبى التي في الجنة**»** ثم ذكر وصفها، ونصّ على ورودها في الأحاديث الصحيحة، فتفسير طوبى بأنها شجرة في الجنة هو تفسير نبوي وردت به الأحاديث عن النبي ﷺ.

ومن هذه الأحاديث ما رواه أبو سعيد الخدري ﷺ، عن رسول الله ﷺ أن رجلًا قال: يا رسول الله، طوبى لمن رآك وآمن بك؟ قال: "طوبى لمن رآني وآمن بي، ثم طوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني" قال رجل: وما طوبى؟ قال: "شجرةٌ في الجنّة مسيرة مائة عام، ثيابُ أهل الجنة تخرج من أكمامها"[٣٩].

---

(٣٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٢٢/١٣)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٣٧/٨) إلى ابن أبي حاتم.

(٣٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٢٣/١٣).

(٣٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٢١/١٣)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٣٦/٨) إلى ابن أبي حاتم.

(٣٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٢٢/١٣).

(٣٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٢٠/١٣).

(٣٧) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٢١/١٣).

(٣٨) تفسير ابن سعدي (٨٣٢/٢)

(٣٩) أخرجه أحمد في مسنده، ح:١١٦٧٣ (٢١١/١٨)، وابن حبان ح:٧٢٣٠ (٢١٣/١٦)، قال ابن حجر في الأمالي المطلقة: هذا حديث حسن ويقوى بشواهده (ص:٤٦).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، – المجلد (١٧)، العدد (٤)، ص ص ٣٤٦٦ – ٣٥١٩ (شعبان ١٤٤٥هـ /مارس٢٠٢٤م)

وبهذا يتبين أن للتفسير النبوي مكانة خاصة عند ابن سعدي في تفسيره، حيث كان من منهجه الإشارة إليه بجانب المعنى الجامع لأقوال السلف(٤٠).

المطلب الثاني: منهجه في المعنى الجامع باعتبار الاختلاف بين أقوال السلف

يتبين من خلال دراسة وتحليل مواضع المعنى الجامع عند ابن سعدي؛ أنه قد تعامل بالمعنى الجامع مع أقوال السلف التي يكون خلافها من قبيل خلاف التنوع، وخلاف التنوع هو الخلاف الذي ليس فيه تضـــاد وتناقض، بل تكون جميع الأقوال فيه صحيحة، وعامة الاختلاف الثابت عن مفسري السلف هو من هذا الباب(٤١).

ويمكن تقسيم اختلاف التنوع إلى قسمين باعتبار تغاير المعاني واتحادها، فالأول: الأقوال التي ترجع إلى معنى واحد، والثاني: الأقوال المتغايرة التي ترجع إلى أكثر من معنى لكن ليس بينها منافاة(٤٢)، وكلا القســـمين قد تعامل معها ابن سعدي بالمعنى الجامع كأحد صور التعامل التي يتعامل بها مع الأقوال المتنوعة، وتفصيل ذلك كما يلي:

أولًا: تعامله مع الأقوال التي ترجع إلى معنى واحد:

في هذا القسـم تكون أقوال السـلف الواردة في معنى الآية راجعة إلى معنى واحد، وإنما تعددت أقوالهم وتنوعت لأن منهم من يفسّـر باللفظ، ومنهم من يفسـر باللازم، أو بجزء من أجزاء المعنى، أو بمثالٍ من أمثلته، فتتعدد الأقوال وقد يُظن اختلافها ولا اختلاف، فكل هذه الأقوال تؤول إلى معنى واحد غالبًا(٤٣).

والحقيقة أنَّ هذا التعدد والتنوع في الأقوال المنقولة عن السـلف يُسـهم في إكمال صـورة المعنى وتوضـيحه من جوانب

---

(٤٠) للمزيـد من الأمثلـة عنـد ابن ســعـدي ينظر تفســير قولـه تعـالى: ﴿وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ﴾ (٦٣/١)، وقولـه تعـالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾ (٦٢٦/٢)، وقوله تعالى: ﴿فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ﴾ (١٧٦٥/٤).

(٤١) ينظر: مجموع الفتاوى (٣٨١/١٣)، مقدمة في أصول التفسير (ص:٣٨).

(٤٢) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١٥٠/١).

(٤٣) ينظر: مجموع الفتـاوى (٣٩٠/٦)، حـادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص:٣٤٥)، الموافقـات (٢١٠/٥)، البرهـان في علوم القرآن (ص:٤٢٣).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، - المجلد (١٧)، العدد (٤)، ص ص ٣٤٦٦ – ٣٥١٩ (شعبان ١٤٤٥هـ /مارس٢٠٢٤م)

متنوعة، وهو مما يعين المفسّـــر المتأمل لأقوالهم إلى إرجاعها إلى معنى كلي، وفي هذا المعنى يقول ابن تيمية: "وجمع عبارات السلف في مثل هذا نافع جدًا، فإن مجموع عباراتهم أدلّ على المقصود من عبارة أو عبارتين"(٤٤).

وفيما يلي أمثلة للخلاف الذي ترجع فيه أقوال الســـلف لمعنى واحد؛ فيتعامل معها ابن ســـعدي بالمعنى الجامع، ومن الأمثلة على ذلك:

في قولـه تعـالى: ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأعراف:٢٨]

رُوي في معنى (فاحشـــة) عن ابن عباس ﷺ قال: "طوافهم بالبيت عراة(٤٥)، وبنحوه عن ســـعيد بن جبير والشـــعبي ومجاهد والسدي(٤٦)، وعن إبراهيم النخعي قال: "الفاحشة ظلم، والظلم فاحشة"(٤٧)، وعن عطاء قال: "الشرك"(٤٨)، وعن مقاتل بن سليمان قال: "معصية فيما حرموا من الحرث والأنعام والألبان، فنهوا عن تحريم ذلك"(٤٩).

قال ابن سـعدي في تفسـيره: «﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً ﴾ **وهي: كل ما يُستفحش ويُستقبح، ومن ذلك طوافهم بالبيت عراة**»(٥٠).

يلاحظ تعدد أقوال السـلف في معنى الفاحشـة في هذا الموضـع، وبعض هذه الأقوال وردت على سـبيل التمثيل، وهذه صـورة من صـور اختلاف السـلف الذي ترجع فيه الأقوال لمعنى واحد، وقد تعامل معها ابن سـعدي بالمعنى الجامع، فقال:

---

(٤٤) مقدمة في أصول التفسير (ص:٥٤).

(٤٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣٨/١٠).

(٤٦) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣٧/١٠).

(٤٧) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٤٦١/٥).

(٤٨) تفسير البغوي (٢٢٣/٣).

(٤٩) تفسير مقاتل بن سليمان (٣٣/٢).

(٥٠) تفسير ابن سعدي (٥٤٠/٢).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، - المجلد (١٧)، العدد (٤)، ص ص ٣٤٦٦ – ٣٥١٩ (شعبان ١٤٤٥هـ /مارس٢٠٢٤م)

«وهي: كل ما يُستفحش ويُستقبح»، وهذا المعنى ترجع إليه جميع الأقوال الواردة عن السلف، ثم مثّل بمثال واحد فقال: «ومن ذلك طوافهم بالبيت عراة»، ولعل سبب ذكره لهذا المثال على وجه الخصوص؛ أنَّ كثيرًا من السلف قد تتابعوا على ذكره، كما أنه المعنى الأليق بسياق الآيات الكريمة.

ومن الأمثلة -أيضًا-:

في قوله تعالى: ﴿ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ ﴾ [عبس:١٥]

رُوي في معنى سفرة عن ابن عباس ﷺ قوله: "كتبة"(٥١)، وبمثله عن قتادة(٥٢)، ورُوي عن ابن عباس -في رواية أخرى- قوله: "يعني الملائكة"(٥٣)، وعنه أيضًا قال: "بالنَّبَطية: القراء"(٥٤)، وبنحوه عن قتادة(٥٥)، وعن ابن زيد قال: "السفرة الذين يُحصون الأعمال"(٥٦).

قال ابن سعدي في تفسيره: «**بل هي** ﴿ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ ﴾: **وهم الملائكة الذين هم سفراء بين الله وبين عباده**»(٥٧).

اختلفت أقوال السلف في التعبير عن السفرة، ولعلّ كل واحد منهم عبّر عن المراد بغير عبارة صاحبه، تدل على معنى في المسمى غير المعنى الآخر مع اتحاد المسمى(٥٨)، وهذه صورة من صور اختلاف السلف الذي ترجع فيه الأقوال لمعنى واحد، وقد تعامل ابن سعدي مع أقوالهم في السفرة بالمعنى الجامع، فجعلها ترجع إلى مسمى واحد هم الملائكة، وإلى وصف كلي لهم،

---

(٥١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٠٨/٢٤)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٤٥/١٥) إلى ابن أبي حاتم.

(٥٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٠٨/٢٤).

(٥٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٠٩/٢٤).

(٥٤) عزاه السيوطي في الدر (٢٤٥/١٥) إلى ابن أبي حاتم.

(٥٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٠٨/٢٤).

(٥٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٠٩/٢٤).

(٥٧) تفسير ابن سعدي (١٩٣٧/٤).

(٥٨) فصّل هذا النوع من خلاف التنوع ابن تيمية في مقدمته، ينظر (ص:٣٨).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، - المجلد (١٧)، العدد (٤)، ص ص ٣٤٦٦ – ٣٥١٩ (شعبان ١٤٤٥هـ /مارس٢٠٢٤م)

وهو كونهم: سفراء بين الله وخلقه، فالملائكة الكتبة، والملائكة التي تقرأ الكتب وتُسفر بين الله ورسله، والملائكة التي تحصي الأعمال أيضًا، كلهم سفراء بين الله وخلقه، وعليه اجتمعت الأقوال في هذا المعنى الجامع.

ثانيًا: تعامله مع الأقوال التي ترجع لأكثر من معنى:

في هذا القسم تكون أقوال السلف راجعة لأكثر من معنى، والأقوال الراجعة لأكثر من معنى هي في الأصل على ضربين، إما أن يكون بين المعاني تضاد فلا سبيل إلى جمعها في معنى كلي، أو لا يكون بينها تضاد، وهو ما تكون المعاني فيه متغايرة لكنها غير متنافية، فالأقوال كلها صحيحة وإن لم يكن معنى أحدها هو معنى الآخر، وهذا النوع موجود عند السلف، ومنه المشترك باللغة، والمتواطئ وما أشبه ذلك(٥٩).

وقد عقد الراغب الأصفهاني فصلًا في "جواز إرادة المعنيين المختلفين بعبارة واحدة"، وذكر أن العبارة الموضوعة لمعنيين على سبيل الاشتراك متى تنافى معناهما في المراد لم يصح أن يُرادا معاً بعبارة واحدة، أما إذا لم يتنافيا صح ذلك(٦٠).

والشاهد هنا بيان إمكان الجمع والتعبير عن الأقوال المتغايرة بعبارة واحدة تجمعها، وهو ما نعبّر عنه هنا: بالمعنى الجامع.

ومن الأمثلة عند ابن سعدي في تعامله مع الأقوال المتغايرة بالمعنى الجامع:

في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ [النساء:١٣٥]

قد رُوي عن السلف في المقصود بقوله: ﴿وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ﴾ عن ابن عباس ﷺ قال: "هما الرجلان يجلسان بين يدي القاضي، فيكون ليُّ القاضي وإعراضُه لأحدهما على الآخر"(٦١)، وعنه ﷺ -في رواية- قال: "تلوي لسانك بغير الحق، وهي اللَّجْلَجَةُ، فلا تقيمُ الشهادة على وجهها، والإعراض: الترك"(٦٢)، وبنحوه عن قتادة(٦٣)، وعن مجاهد قال: "إن تحرّفوا، أو

(٥٩) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/١٥٠)، مقدمة في أصول التفسير (ص ٤٩).

(٦٠) تفسير الراغب الأصفهاني (ص: ٤٠).

(٦١) أخرجه الطبري في تفسيره (٧/٥٨٩)، وابن أبي حاتم (٤/١٠٨٩).

(٦٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٧/٥٩٠)، وابن أبي حاتم (٤/١٠٨٩).

(٦٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٧/٥٩١).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، - المجلد (١٧)، العدد (٤)، ص ص ٣٤٦٦ – ٣٥١٩ (شعبان ١٤٤٥هـ /مارس٢٠٢٤م)

تتركوا"(٦٤)، وعن الضحّاك قال: "أن تلووا في الشهادة: أن لا تقيموها على وجهها"، ﴿أَوۡ تُعۡرِضُواْ﴾ قال: "تكتموا الشهادة"(٦٥)، وبنحوه عن السديّ(٦٦).

قال ابن سعدي في تفسيره: «**ولمّا بيّن أن الواجب القيام بالقسط؛ نهى عما يُضادُّ ذلك، وهو لَيُّ اللسان عن الحقِّ؛ في الشهادات وغيرها، وتحريف النطق عن الصواب المقصود من كل وجه، أو من بعض الوجوه، ويدخل في ذلك تحريف الشهادة وعدم تكميلها أو تأويلُ الشاهد على أمرٍ آخر، فإن هذا من اللي؛ لأنه الانحراف عن الحق.** ﴿أَوۡ تُعۡرِضُواْ﴾؛ **أي: تتركوا القسط المَنوط بكم؛ كترك الشاهد لشهادته وترك الحاكم لحكمه الذي يجب عليه القيام به**»(٦٧).

يظهر أن الخلاف بين الأقوال في المعنيّ بالنهي في الآية، هل النهي للقاضي الذي يحكم بين المتخاصمين، أو للشهود الذين تلزم عليهم الشهادة؟ وهذان القولان يظهر بينهما التغاير في المعاني لا التعارض، وقد تعامل ابن سعدي مع هذا الخلاف بمعنى جامع يرجع إليه كلا القولين، فقال في قوله: ﴿وَإِن تَلۡوُۥٓاْ﴾: «وهو لَيُّ اللسان عن الحقِّ -في الشهادات وغيرها-، وتحريف النطق عن الصواب المقصود من كل وجه، أو من بعض الوجوه» ولعله بهذا التفسير جمع بين المعنيين جميعًا، وجعله يتناول تحريف النطق عن الصواب المطلوب لكلٍ من الشاهد والقاضي، مع إشارته على وجه التمثيل إلى الليّ في الشهادات، ولعلّ النص على هذا المثال بعينه لكثرة القائل به من السلف.

كما فسّر أيضًا قوله تعالى: ﴿أَوۡ تُعۡرِضُواْ﴾ بمعنى جامع فقال: «تتركوا القسط المَنوط بكم» ثم ذكر أمرين يكون بهما ترك القسط، الأول: ترك القسط في الشهادة، والثاني: ترك القسط في الحكم، وكلا الأمرين قد وردا في أقوال السلف.

وبذلك يكون ابن سعدي قد جمع بين الأقوال المتغايرة بمعان جامعة مسبوكة لا يظهر بينها الاختلاف، وهذا يكشف عن تتبع وحسن نظرٍ لأقوال السلف، وتحرير ومعالجة للخلاف، أثمرت هذه الطريقة في المعنى الجامع للأقوال.

---

(٦٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٩٠/٧)، وابن أبي حاتم (١٠٨٩/٤).

(٦٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٩٢/٧).

(٦٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٩٢/٧)، وابن أبي حاتم (١٠٩٠/٤).

(٦٧) تفسير ابن سعدي (٣٦٩/١).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، - المجلد (١٧)، العدد (٤)، ص ص ٣٤٦٦ – ٣٥١٩ (شعبان ١٤٤٥هـ /مارس٢٠٢٤م)

المطلب الثالث: منهجه في المعنى الجامع باعتبار إيراد أقوال السلف وعدمه

تبيّن من خلال استقراء مواضع المعنى الجامع عند ابن سعدي ودراستها ومقارنتها بأقوال السلف، أن له طريقتين من حيث إيراد أقوال السلف بجانب المعنى الجامع وعدم إيرادها، وسنبين ذلك بأمثلته وفق ما يأتي:

الطريقة الأولى: المعنى الجامع وإيراد أقوال السلف تمثيلًا أو حصرًا:

وهو أن يذكر المعنى الجامع لأقوال السلف، ثم يورد أقوالهم في ذلك، إما على سبيل التمثيل وإما بما يشبه الحصر، وهذه الطريقة في إيراده للأقوال تدلّ بلا شك على أنه ينطلق من أقوالهم، ويسبك عبارته بناء عليها، وفيما يأتي تفصيل ذلك بأمثلته:

أولًا: ذكر المعنى الجامع، وإيراد بعض أقوال السلف المتضمنة له على سبيل التمثيل:

الصورة الأولى لهذه الطريقة هي أن يذكر ابن سعدي المعنى الجامع للأقوال، ثم يورد بعض هذه الأقوال على سبيل التمثيل، وذلك في صيغ مختلفة، كقوله: «ومنها»، أو: «ويدخل في ذلك» ما يشير إلى أن هذه الأمثلة داخلة ومتضمنة لهذا المعنى الجامع الكلي.

وأما تخصيصه بعض الأمثلة بالذكر؛ فللعناية بهذا المثال لسبب ما، كتتابع كثير من السلف على ذكر المثال، أو كونه ألصق بالسياق، أو غير ذلك من الأسباب، وفيما يلي أمثلة لهذه الصورة في تفسيره:

في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج:٣٢]

رُوي في معنى الشعائر عن ابن عباس ﷺ أنها البُدن(٦٨)، وعنه أيضًا قال: "استعظامها واستحسانها واستسمانها"(٦٩)، وعن مجاهد مثله(٧٠)، وعن محمد بن أبي موسى قال: "الوقوف بعرفة من شعائر الله، وبجَمْع من شعائر الله، ورمي الجمار من شعائر الله، والبُدن من شعائر الله، ومن يعظمها فإنها من شعائر الله"(٧١)، وعن ابن زيد قال: "الشعائر: الجمار، والصفا والمروة

(٦٨) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٩٠/١٠) إلى ابن أبي حاتم.

(٦٩) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٤٠/١٦)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٩٠/١٠) إلى ابن أبي حاتم.

(٧٠) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٤٠/١٦)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٩٠/١٠) إلى ابن أبي حاتم.

(٧١) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٤١/١٦)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٩١/١٠) إلى ابن أبي حاتم.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، - المجلد (١٧)، العدد (٤)، ص ص ٣٤٦٦ – ٣٥١٩ (شعبان ١٤٤٥هـ /مارس٢٠٢٤م)

من شعائر الله، والمشعر الحرام والمزدلفة، قال: والشعائر تدخل في الحرم، هي شعائر، وهي حرم"(٧٢).

قال ابن سعدي في تفسيره: **«والمراد بالشعائر: أعلام الدين الظاهرة، ومنها: المناسك كلها، كما قال تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٥٨]، **ومنها: الهدايا والقربان للبيت، وتقدّم(٧٣) أن معنى تعظيمها إجلالها والقيام بها وتكميلها على أكمل ما يقدر عليه العبد، ومنها: الهدايا، فتعظيمها باستحسانها واستسمانها، وأن تكون مكمّلة من كل وجه»**(٧٤).

يلاحظ تنوع أقوال السلف في المقصود بشعائر الله في هذا الموضع، وقد تعامل ابن سعدي معها بالمعنى الجامع فقال: «والمراد بالشعائر؛ أعلام الدين الظاهرة» وهذا المعنى جامع لما ورد عن السلف من أقوال كما هو ظاهر، ثم أتبعه بأمثلةٍ وتفصيلٍ لما يتضمنه هذا المعنى الجامع من الأقوال، فذكر أن من هذه الشعائر: مناسك الحج، وهو قول محمد بن أبي موسى وابن زيد، والهدايا، وهي قول ابن عباس ومجاهد، وهذا التفصيل والتمثيل لا شكّ أن فيه تقوية لدلالة المعنى الجامع، ودليلًا على اعتماده هذه الأقوال في سبكه، كما يشير إلى أن أقوال السلف واختلافهم في المعنى إنما جاء على سبيل التمثيل.

كما أكّد ابن سعدي هذا المعنى الجامع أيضًا في موضع لاحق عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ لَكُمۡ فِيهَا خَيۡرٞ﴾ [الحج:٣٦]، قال: **«هذا دليل على أن الشعائر عام في جميع أعلام الدين الظاهرة. وتقدَّم أن الله أخبر أن من عظَّم شعائره، فإن ذلك من تقوى القلوب، وهنا أخبر أن من جملة شعائره؛ البدن...»**(٧٥)، وهذا فيه استدلال على المعنى الجامع وتأكيد له، ويمكن الإشارة في هذا المقام إلى أن المعنى الجامع هنا هو نفسه المعنى العام أيضًا، وسيأتي تفصيل لذلك فيما بعد.

ومن الأمثلة –أيضًا– والتي يظهر فيها تنبيهه على دخول أقوال السلف في هذا المعنى وتضمّنها له:

---

(٧٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٤١/١٦).

(٧٣) تقدّم في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ (١٠٩٨/٣).

(٧٤) تفسير ابن سعدي (١٠٩٩/٣).

(٧٥) تفسير ابن سعدي (١١٠١/٣).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، - المجلد (١٧)، العدد (٤)، ص ص ٣٤٦٦ – ٣٥١٩ (شعبان ١٤٤٥هـ /مارس٢٠٢٤م)

في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾ [النساء:٥١]

قد رُوي في معنى الجبت والطاغوت: عن عمر ﷺ قال: "الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان"(٧٦)، وعن مجاهد والشعبي مثله(٧٧)، وعن ابن عباس ﷺ قال: "الجبت: الأصنام، والطاغوت: الذين يكونون بين يدي الأصنام، يُعَبِّرون عنها الكذبَ؛ ليُضلوا الناس، وزعم رجال أن الجبت الكاهن، والطاغوت رجلٌ من اليهود يُدعى كعب بن الأشرف، كان سيّد اليهود"(٧٨)، وعن ابن عباس ﷺ –في رواية– قال: "الطاغوت: كعب بن أشرف، والجبت: حيي بن أخطب"(٧٩)، وعنه أيضًا قال: "الجبت: اسم الشيطان بالحبشية"(٨٠)، وعن أبي العالية قال: "الطاغوت: الساحر، والجبت: الكاهن"(٨١)، وعن سعيد بن جُبير قال: "الجبت: الساحر بلسان الحبشة، والطاغوت: الكاهن"(٨٢)، وعن عكرمة قال: "الجبت والطاغوت صنمان"(٨٣)، وعن ابن زيد عن أبيه قال: "الجبت: الساحر، والطاغوت: الشيطان"(٨٤)، وعن ابن وهب قال: "وقال لي مالك: الطاغوت: ما يعبدون من دون الله"(٨٥).

---

(٧٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣٥/٧)، وابن أبي حاتم (٩٧٤/٣).

(٧٧) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣٦/٧).

(٧٨) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣٥/٧)، وابن أبي حاتم (٩٧٥/٣) مختصرًا.

(٧٩) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣٩/٧)، وابن أبي حاتم (٩٧٥/٣).

(٨٠) أخرجه ابن أبي حاتم (٩٧٤/٣).

(٨١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣٧/٧).

(٨٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣٧/٧).

(٨٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣٤/٧).

(٨٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣٦/٧).

(٨٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩٧٦/٣)، وقوله: "مالك" يعني: مالك بن أنس ﷺ.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، - المجلد (١٧)، العدد (٤)، ص ص ٣٤٦٦ – ٣٥١٩ (شعبان ١٤٤٥هـ /مارس٢٠٢٤م)

قال ابن سعدي في تفسيره: **«وهذا من قبائح اليهود وحسدهم للنبي ﷺ والمؤمنين، أنَّ أخلاقهم الرذيلة وطبعهم الخبيث حَمَلهم على ترك الإيمان بالله ورسوله، والتعوض عنه بالإيمان بالجبت والطاغوت، وهو: الإيمان بكل عبادة لغير الله، أو حكم بغير شرع الله، فدخل في ذلك السحر والكهانة، وعبادة غير الله، وطاعة الشيطان، كلّ هذا من الجبت والطاغوت»**(٨٦).

يلاحظ تعدد أقوال السلف وتنوعها في معنى الجبت والطاغوت، وقد كثرت الروايات في معناها حتى ورد لبعضهم ثلاثة أقوال فيها، ولعلّ ذلك يشير إلى أن أقوالهم المتعددة إنما خرجت مخرج التمثيل، وقد تفطّن لذلك ابن سعدي فجمع الأقوال كلها في معنى واحد، فقال في معنى الجبت والطاغوت: «هو: الإيمان بكل عبادة لغير الله، أو حكم بغير شرع الله»، وهذا المعنى جامع شامل لأقوال السلف، فكل معبود سواء كان صنمًا أو إنسانًا أو شيطانًا فإنه يسمى طاغوتًا، ثم أتبع المعنى الجامع بأمثلة من أقوال السلف فقال: «فدخل في ذلك السحر والكهانة، وعبادة غير الله، وطاعة الشيطان»، ثم قال مؤكدًا: «كل هذا من الجبت والطاغوت»، تنبيهًا إلى تضمّن المعنى الجامع لأقوال السلف الواردة في الآية، ولعلّ القول الذي رواه ابن وهب عن أنس بن مالك رضي الله عنه مطابقٌ للمعنى الجامع، وسيأتي أن من منزلة المعنى الجامع عند ابن سعدي اختياره قول السلف الجامع للأقوال الأخرى في الآية(٨٧).

ومن الأمثلة أيضًا:

في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ [البقرة:٢٠١]

---

(٨٦) تفسير ابن سعدي (١/٣١٤).

(٨٧) للمزيد من الأمثلة عند ابن سعدي، ينظر تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَأَنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ (١/١٤٤)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ (١/١٤٤)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ (١/١٢٤)، وقوله تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥ ﴾ (٤/٢٠٠١)، وقوله تعالى: ﴿ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ ﴾ (١/١٦٦).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، - المجلد (١٧)، العدد (٤)، ص ص ٣٤٦٦ – ٣٥١٩ (شعبان ١٤٤٥هـ /مارس٢٠٢٤م)

قد رُوي في معنى حسنة الدنيا عن علي ﷺ قال: امرأة صالحة(٨٨)، وبنحوه عن محمد بن كعب القرظي(٨٩)، وعن الحسن البصري: أنها العلم والعبادة(٩٠)، وفي رواية عنه: "الرزق الطيب والعلم النافع في الدنيا"(٩١)، وبنحوه عن سفيان الثوري(٩٢)، وعن قتادة أنها العافية(٩٣)،وعن السديّ أنها المال(٩٤)، وعن مقاتل بن سليمان: الرزق الواسع(٩٥).

قال ابن سعدي في تفسيره عن معنى حسنة الدنيا: «**والحسنة المطلوبة في الدنيا يدخل فيها: كل ما يحسن وقعه عند العبد، من رزق هنيء واسع حلال، وزوجة صالحة، وولد تقر به العين، وراحة، وعلم نافع، وعمل صالح، ونحو ذلك من المطالب المحبوبة والمباحة**»(٩٦).

يُلاحظ تعدد أقوال السلف وتنوع عباراتهم الواردة في معنى حسنة الدنيا، ولا منافاة بينها فإن أقوالهم خرجت على سبيل التمثيل(٩٧)، لذا فقد تعامل ابن سعدي مع أقوال السلف في هذا الموضع بالمعنى الجامع، ففسّر الحسنة بأنها: «كل ما يحسن وقعه عند العبد»، وهذا المعنى الجامع الذي سبكه بأوجز عبارة، يتضمن جميع أقوال السلف التي وردت في معنى الحسنة، ثم أتبعه بأمثلة مما يتضمنه من أقوال السلف، فذكر الرزق الواسع وهو معنى قول الحسن –في إحدى الروايتين عنه– والسديّ ومقاتل وسفيان، وذكر –أيضًا– الزوجة الصالحة وقد وردت عن علي ﷺ والقرظي، كما ذكر العلم النافع والعمل الصالح وهو

---

(٨٨) ذكره الثعلبي في تفسيره (١١٥/٢).

(٨٩) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٥٨/٢).

(٩٠) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٤٥/٣)، وابن أبي حاتم (٣٥٨/٢).

(٩١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٥٨/٢).

(٩٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٤٦/٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٥٨/٢).

(٩٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٤٤/٣)، وابن أبي حاتم (٣٥٨/٢).

(٩٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٤٦/٣).

(٩٥) تفسير مقاتل بن سليمان (١٧٦/١).

(٩٦) تفسير ابن سعدي (١٥٠/١).

(٩٧) أشار لهذا المعنى ابن جرير الطبري (٥٤٧/٣)، وكذلك ابن كثير في تفسيره (١٢٢/٢).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، - المجلد (١٧)، العدد (٤)، ص ص ٣٤٦٦ – ٣٥١٩ (شعبان ١٤٤٥هـ /مارس٢٠٢٤م)

معنى قول الحسن البصري، ثم ختم بعبارة مؤكدة للمعنى الجامع فقال: «ونحو ذلك من المطالب المحبوبة والمباحة»(٩٨).

ثانيًا: ذكر المعنى الجامع، وإيراد أقوال السلف على سبيل الحصر:

الصورة الثانية لهذه الطريقة أن يذكر ابن سعدي المعنى الجامع وينص على الأقوال التي جاءت عن السلف في معنى الآية بما يُشبه الحصر، وتختلف الصورة الأولى عن هذه في أن ذكره لأقوال السلف كان تمثيلًا وتضمينًا، وأما هنا فبما يشبه الحصر، وبالمثال يتضح الفرق بينهما، ومن ذلك:

في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ ﴾ [يونس:٨٨]

قد رُوي عن السلف في معنى﴿ ٱطۡمِسۡ ﴾ عن ابن عباس ﷺ قوله: "دمِّر عليهم، وأهلِكْ أموالهم"(٩٩)، وبنحوه عن مجاهد(١٠٠)، وعن أبي العالية قال: "جعلَها حجارة"(١٠١)، وبنحوه عن الضحاك وقتادة ومحمد القرظي(١٠٢)، والسدي(١٠٣)، والربيع بن أنس وسفيان الثوري وابن زيد وغيرهم(١٠٤).

---

(٩٨) للمزيد من الأمثلة عند ابن سعدي في هذه الطريقة ينظر تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ ﴾ (٦٣/١)، وقوله تعالى: ﴿ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِ ﴾ (٣٥٩/١)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗا﴾ (١٧٣/١)، وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ﴾ (١٤٦/١)، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ ﴾ (١٧٥٣/٤)، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾ (١٢٠٨/٣)، وقوله تعالى: ﴿ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ ﴾ (٣٧٠/١)، وقوله تعالى: ﴿ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ (٥٨٧/٢).

(٩٩) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٦٧/١٢)، وابن أبي حاتم (١٩٧٨/٦).

(١٠٠) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٦٦/١٢)، وابن أبي حاتم (١٩٧٩/٦).

(١٠١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٦٤/١٢)، وابن أبي حاتم (١٩٧٩/٦).

(١٠٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٦٤/١٢).

(١٠٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٩٧٩/٦).

(١٠٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٦٥/١٢).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، – المجلد (١٧)، العدد (٤)، ص ص ٣٤٦٦ – ٣٥١٩ (شعبان ١٤٤٥هـ /مارس٢٠٢٤م)

قال ابن سعدي في تفسيره: **«أي: أتلفها عليهم، إما بالهلاك، وإما بجعلها حجارة غير منتفع بها»**(١٠٥).

تبين تتابع السلف في معنى طمس الأموال على قولين اثنين: الأول: إهلاكها، والثاني: تغيير هيئتها إلى حجارة(١٠٦)، وقد جعل ابن سعدي المعنى الجامع بينهما هو: الإتلاف، ثم نص على قولي السلف، ولعل في ذلك إشارة إلى أن المعنى الجامع يتضمن هذين المعنيين، ولذلك نصّ عليهما بقوله: إما كذا وإما كذا.

ومن الأمثلة أيضًا:

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾ [النساء:٥٩]

رُوي عن السلف في معنى ﴿ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾ عن أبي هريرة وابن عباس ﷺ أنهم الأمراء(١٠٧)، وبنحوه عن زيد بن أسلم(١٠٨)، وعن ابن عباس ﷺ: أنهم أهل الفقه والدين(١٠٩)، وبنحوه عن أبي العالية، ومجاهد، والحسن البصري، وعطاء(١١٠).

قال ابن سعدي في تفسيره: **«ثم أمر بطاعته وطاعة رسوله، وذلك بامتثال أمرهما الواجب والمستحب واجتناب نهيهما، وأمر بطاعة أولي الأمر، وهم: الولاة على الناس؛ من الأمراء والحكّام، والمفتين؛ فإنه لا يستقيم للناس أمرُ دينهم ودنياهم إلا بطاعتهم والانقياد لهم،...»**(١١١).

تبيّن أن السلف في المقصود بأولي الأمر على قولين: الأمراء، وأهل العلم، وقد جمع بينهما ابن سعدي في معنى جامع، فقال: **«**وهم: الولاة على الناس**»**، ثمّ نص على قولي السلف التي تضمنت هذا المعنى الجامع فقال: **«**من الأمراء والحكام

---

(١٠٥) تفسير ابن سعدي (٢/٧٢٨).

(١٠٦) ينظر تفسير ابن أبي حاتم (٦/١٩٧٨).

(١٠٧) أخرجه الطبري في تفسيره (٧/١٧٦)، وابن أبي حاتم (٣/٩٨٨).

(١٠٨) أخرجه الطبري في تفسيره (٧/١٧٧).

(١٠٩) أخرجه الطبري في تفسيره (٧/١٧٩)، وابن أبي حاتم (٣/٩٨٨).

(١١٠) أخرجه الطبري في تفسيره (٧/١٧٩).

(١١١) تفسير ابن سعدي (١/٣١٧).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، - المجلد (١٧)، العدد (٤)، ص ص ٣٤٦٦ – ٣٥١٩ (شعبان ١٤٤٥هـ /مارس٢٠٢٤م)

والمفتين»، ووجّه ذلك بقوله: «فإنه لا يستقيم للناس أمرُ دينهم ودنياهم إلا بطاعتهم والانقياد لهم»[١١٢]، وهذه من المواضع التي تظهر بوضوح قصد ابن سعدي في تعامله مع أقوال السلف حيث نصّ على أقوالهم، وجمعها بعبارة كلية جامعة.

الطريقة الثانية: الاقتصار على المعنى الجامع لأقوال السلف:

الطريقة الثانية عند ابن سعدي في المعنى الجامع هي اقتصاره على ذكر المعنى الجامع لأقوال السلف، من غير نصٍ على هذه الأقوال.

وهو مع عدم نصّه على أقوال السلف ها هنا؛ إلّا أنَّ استحضارَ منهجه العام في تفسيره، وحسن سبكه للمعنى الجامع في التعبير عن الأقوال، يدل دلالة واضحة على اعتمادٍ ومعالجة لهذه الأقوال، كما قد لا يخلو هذا المعنى الجامع من إشارات وإلماحات لتلك الأقوال.

ومن أمثلة هذه الطريقة عنده:

في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٩ ﴾ [الليل:٩]

رُوي عن السلف في معنى الحسنى عن ابن مسعود ﷺ أنها: لا إله إلا الله[١١٣]، وبمثله عن ابن عباس ﷺ والضحاك[١١٤]، وعن ابن عباس -في رواية-: بالخَلَف من الله[١١٥]، وعن مجاهد: بالجنة[١١٦]، وعن قتادة قال: "وكذّب بموعود

(١١٢) للمزيد من الأمثلة في هذه الطريقة ينظر تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ ﴾ (٧٧١/٢)، وقوله تعالى: ﴿ وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ٢ ﴾ (١٩٨٧/٤)، وقوله: ﴿ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلًا ﴾ (١١٩٦/٣).

(١١٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٧٠/١٥) إلى ابن أبي حاتم.

(١١٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٤٦٨/٢٤).

(١١٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٤٦٨/٢٤)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٧٠/١٥) إلى ابن أبي حاتم أيضًا.

(١١٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٤٦٩/٢٤).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، - المجلد (١٧)، العدد (٤)، ص ص ٣٤٦٦ – ٣٥١٩ (شعبان ١٤٤٥هـ /مارس٢٠٢٤م)

الله الذي وعد"[١١٧]، وبنحوه عن مقاتل[١١٨].

قال ابن سعدي في تفسيره: «﴿ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ ﴾: **أي: بما أوجب الله على العباد التصديق به من العقائد الحسنة**»[١١٩].

يظهر تعامل ابن سعدي مع أقوال السلف في سبك المعنى الجامع المعبّر عن الحُسنى، فإنّ لا إله إلا الله، والجنة، ووعد الله وخلفه، يجمعها كونها: من العقائد التي أوجب الله على العباد التصديق بها، ونصّه على أنها من العقائد فيه إشارة قوية لتلك الأقوال، وقد اقتصر في هذا الموضع على ذكر المعنى الجامع عن إيراد أقوال السلف فيها، ولعلّ من أسباب عدم تفصيله أو ذكره للأقوال أو بعضها؛ أنها سبقت في الآيات التي تقابلها وهي قوله: ﴿ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾ [الليل:٦][١٢٠].

ومن الأمثلة أيضًا:

في قوله تعالى:﴿ أَوَلَا يَرَوۡنَ أَنَّهُمۡ يُفۡتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٖ مَّرَّةً أَوۡ مَرَّتَيۡنِ ﴾ [التوبة:١٢٦]

رُوي عن حذيفة بن اليمان ﷺ في هذه الآية قوله: "كنّا نسمع في كلِّ عام كذبة أو كذبتين، فَيضلُّ بها فئامٌ من الناس كثير"[١٢١]، وعن ابن عباس ﷺ قال: يُبتلون[١٢٢]، وعن مجاهد قال: "بالسَّنة والجوع"[١٢٣]، وعن قتادة قال: "يُبتلَون بالغزو

(١١٧) أخرجه الطبري في تفسيره (٤٦٨/٢٤)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٧١/١٥) إلى ابن أبي حاتم أيضًا.

(١١٨) تفسير مقاتل بن سليمان (٧٢٢/٤).

(١١٩) تفسير ابن سعدي (١٩٧٥/٤).

(١٢٠) ينظر تفسير ابن سعدي (١٩٧٤/٤).

(١٢١) أخرجه الطبري في تفسيره (٩٣/١٢).

(١٢٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩١٥/٦).

(١٢٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٩٢/١٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٩١٥/٦).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، - المجلد (١٧)، العدد (٤)، ص ص ٣٤٦٦ – ٣٥١٩ (شعبان ١٤٤٥هـ /مارس٢٠٢٤م)

في سبيل الله في كل عام مرة أو مرتين"(١٢٤)، وبنحوه عن الحسن البصري(١٢٥)، وعن عطية العوفي: "بالأمراض والأوجاع"(١٢٦).

قال ابن سعدي في تفسيره: **«قال تعالى موبخًا لهم على إقامتهم على ما هم عليه من الكفر والنفاق:** ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ **بما يصيبهم من البلايا والأمراض، وبما يُبتلون من الأوامر الإلهية التي يُراد بها اختبارهم»**(١٢٧).

يظهر تعامل ابن سعدي مع أقوال السلف الواردة في معنى الفتنة هنا، فقد جمعها في معنى جامع دال على الأقوال ومشير إليها، فدلّ قوله: **«بما يصيبهم من البلايا والأمراض»**: على قول ابن عباس، ومجاهد، وعطية العوفي، كما أشار بقوله: **«وبما يُبتلون من الأوامر الإلهية»**، لقول: قتادة والحسن في أنه الغزو والجهاد في سبيل الله، فهذا المعنى جامع لما قيل، دال على الأقوال ولو لم ينص عليها(١٢٨).

المطلب الرابع: منهجه في المعنى الجامع وعلاقته بالحمل على العموم

إن للمعنى الجامع علاقة بالحمل على العموم عند ابن سعدي، فقد يدل المعنى الجامع على العموم ويؤول إليه في أحيان كثيرة، لذا فإنك تجده أحيانًا يجمع بين المعنى الجامع والعموم فيذكرهما معًا، وقد يكتفي بذكر المعنى الجامع مع دلالته على

---

(١٢٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٩٢/١٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٩١٦/٦).

(١٢٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٩٢/١٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٩١٥/٦).

(١٢٦) تفسير الثعلبي (١١٣/٥).

(١٢٧) تفسير ابن سعدي (٦٩٥/٢).

(١٢٨) للمزيد من الأمثلة في هذه الطريقة عند ابن سعدي ينظر تفسير قوله تعالى: ﴿بِكَلِمَتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ (٩٠/١)، وقوله تعالى:﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾ (١٤٦/١)، وقوله : ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾، وقوله : ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾ (٢ /٩٢٩)، وقوله تعالى: ﴿رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ (٩٣٤/٢)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ (١٥٤٧/٤)، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ (١٦٩٢/٤)، وقوله تعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾ (١٧٣٨/٤)، وقوله تعالى: ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾﴾ (١٩٣٧/٤)، وقوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ (٩٣٥/٢).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، - المجلد (١٧)، العدد (٤)، ص ص ٣٤٦٦ – ٣٥١٩ (شعبان ١٤٤٥هـ /مارس٢٠٢٤م)

العموم.

ومن الأمثلة التي جمع فيها ابن سعدي بين المعنى الجامع والعموم:

في قوله تعالى: ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ ﴾ [البقرة:١٩٥]

قد رُوي عن السلف في معنى النفقة ﴿ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ عن ابن عباس ﷺ: أنها تعني النفقة في الجهاد(١٢٩)، وبنحو ذلك عن الضحاك وقتادة ومحمد بن كعب القرظي والسدي وغيرهم(١٣٠)، وعن سفيان الثوري قال: "في طاعة الله"(١٣١).

قال ابن سعدي في تفسيره: «**يأمر تعالى عباده بالنفقة في سبيله، وهو إخراج الأموال في الطرق الموصلة إلى الله، وهي كل طرق الخير من صدقة على مسكين أو قريب أو إنفاق على من تجب مؤنته، وأعظم ذلك وأول ما دخل في ذلك الإنفاق في الجهاد في سبيل الله، فإن النفقة فيه جهاد بالمال، وهو فرض كالجهاد بالبدن...**»(١٣٢).

يُلاحظ جمع ابن سعدي بين المعنى الجامع والعموم، فذكر أولًا المعنى الجامع للنفقة في سبيل الله فقال: «وهو إخراج الأموال في الطرق الموصلة إلى الله» وهذا معنى جامع يشمل أقوال السلف الواردة في الآية، ثم أتبعه بالنصّ على العموم بلفظ (كل) فقال: «وهي كل طرق الخير» ومثّل لهذه الطرق بأمثلة، منبهًا على أن الإنفاق في الجهاد أعظم طرق الإنفاق وأول ما يدخل في معناها، ولعلّ تخصيصه هذا المثال بالذكر لتتابع أكثر السلف عليه في تفسير الآية ودلالة السياق عليه أيضًا، وهذا من عنايته بأقوال السلف بأفرادها، والمقصود هنا أن المعنى الجامع نفسه يدل على العموم أيضًا، وقد ذكرهما ابن سعدي وجمع بينهما في هذا الموضع(١٣٣).

---

(١٢٩) أخرجه الطبري في تفسيره (٣١٣/٣).

(١٣٠) أخرجه الطبري في تفسيره (٣١٤/٣).

(١٣١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٠/١).

(١٣٢) تفسير ابن سعدي (١٤٤/١).

(١٣٣) للمزيد من الأمثلة عند ابن سعدي ينظر تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾ (١٢٠٨/٣)، وقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ ﴾ (١٣٤٧/٣)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ ۝٢٠ ﴾ (٨٢٩/٢).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، - المجلد (١٧)، العدد (٤)، ص ص ٣٤٦٦ – ٣٥١٩ (شعبان ١٤٤٥هـ /مارس٢٠٢٤م)

ومن أمثلة ذكره للمعنى الجامع فقط، مع دلالة هذا المعنى نفسه على العموم:

في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ٧٢ ﴾ [الفرقان:٧٢]

رُوي عن السلف في معنى اللغو أقوال، فعن مجاهد قال: "إذا ذكروا النكاح كَنَوا عنه"(١٣٤)، وبنحوه عن سيّار أبي الحكم(١٣٥)، وعن الضحاك قال: "بالشرك"(١٣٦)، وعن الحسن البصري قال: "اللغو كلُّه المعاصي"(١٣٧)، وعن السدي: "اللغو: الباطل، والوقيعة من المشركين في المسلمين"(١٣٨) وعن ابن زيد قال: "هؤلاء المهاجرون، واللغو ما كانوا فيه من الباطل، يعني المشركين. وقرأ ﴿ فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ ﴾ [الحج:٣٠]"(١٣٩).

قال ابن سعدي في تفسيره: «﴿ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ ﴾: **وهو الكلام الذي لا خير فيه ولا فيه فائدة دينية ولا دنيوية؛ ككلام السفهاء ونحوهم**»(١٤٠).

تعامل ابن سعدي مع أقوال السلف المتنوعة في معنى اللغو بالمعنى الجامع، وسبكه في معنى كلي رجعت إليه أقوال السلف، وقد دلّ المعنى الجامع أيضًا في هذا الموضع على العموم، فالكلام منه ما له فائدة دينية أو دنيوية، وما عدا ذلك فهو من اللغو الذي لا خير فيه ولا فائدة، فآل المعنى الجامع إلى العموم أيضًا(١٤١).

---

(١٣٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٢٤/١٧)، وابن أبي حاتم (٢٧٣٩/٨).

(١٣٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٢٤/١٧).

(١٣٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٢٧٣٩/٨).

(١٣٧) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٢٥/١٧).

(١٣٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٢٧٤٠/٨).

(١٣٩) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٢٥/١٧).

(١٤٠) تفسير ابن سعدي (١٢٠٩/٣).

(١٤١) للمزيد من الأمثلة عند ابن سعدي ينظر تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ (٤٠/١).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، - المجلد (١٧)، العدد (٤)، ص ص ٣٤٦٦ – ٣٥١٩ (شعبان ١٤٤٥هـ /مارس٢٠٢٤م)

المبحث الثاني: صياغة المعنى الجامع عند ابن سعدي

يهتم هذا المبحث ببيان الصياغة التفسيرية للمعنى الجامع عند ابن سعدي، وقد جرى تخصيصه بمبحث مستقل لكون صياغة المعنى ركيزة أساسية يعتمد عليها المعنى الجامع في التعبير عن مجموع أقوال السلف في التفسير، فهي لبّه وأساسه، إذ من الواجب صياغة جمله ومفرداته بما يدلّ على رجوع أقوال السلف إليه، وهذا المبحث يكشف عن جانب من جوانب البلاغة التي برع فيها ابن سعدي في معالجته لأقوال السلف في التفسير.

وقد تبين من خلال الجرد والاستقراء لمواضع المعنى الجامع عند ابن سعدي تنوع الصياغة التفسيرية للمعنى الجامع لأقوال السلف بين تفصيل وإيجاز، مراعيًا في ذلك الدلالة على المعاني، والبيان بأسلوب حسن، وسبكٍ مُحكم.

المطلب الأول: الصياغة التفسيرية للمعنى الجامع على سبيل التفصيل

يمكن وصف هذا الأسلوب بأنه: اتجّاه ابن سعدي إلى جانب التفصيل في صياغة المعنى الجامع لأقوال السلف، فيسبكه في جمل مركبةٍ تُعبّر بمجموعها عن معنى كليّ ترجع إليه أقوال السلف.

وتتنوع أساليبه في صياغة المعنى الجامع على سبيل التفصيل، ومن أمثلة ذلك:

١–أن ينص على المعنى الجامع بقوله: "اسم جامع"، وهو الأسلوب الصريح الذي يُمثّل المعنى الجامع ومثاله:

في قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴾ [سور البقرة:٥٧]

قد رُوي عن السلف في معنى ﴿ ٱلْمَنَّ ﴾ عن ابن عباس ﷺ قال: "المن الذي يسقط من السماء على الشجر فيأكله الناس"(١٤٢)، وبنحوه عن عامر الشعبي(١٤٣)، وعن مجاهد قال: "المن صمغة"(١٤٤)، وعن وهب بن منبه قال: "خبز

(١٤٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٧٠٢/١)، وابن أبي حاتم (١١٤/١).

(١٤٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٧٠٢/١).

(١٤٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٧٠٠/١)، وابن أبي حاتم (١١٤/١).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، – المجلد (١٧)، العدد (٤)، ص ص ٣٤٦٦ – ٣٥١٩ (شعبان ١٤٤٥هـ /مارس٢٠٢٤م)

الرقاق"(١٤٥)، وعن السدي أنه: الزنجبيل(١٤٦)، وعن الربيع بن أنس قال: "المن شرابٌ كان ينزل عليهم مثل العسل"(١٤٧)، وبنحوه عن ابن زيد(١٤٨).

قال ابن سعدي في تفسيره: **«المن: وهو اسم جامع لكل رزق حسن يحصل بلا تعب، ومنه الزنجبيل والكمأة والخبز وغير ذلك»**(١٤٩).

يُلاحظ تعامل ابن سعدي مع أقوال السلف المتعددة الواردة في معنى المن، حيث فسّره بمعنى جامع يشمل أقوال السلف، فقال: «المن: وهو اسم جامع لكل رزق حسن يحصل بلا تعب»، وهذا هو الأسلوب الصريح في صياغة المعنى الجامع.

ثم انتخب من أقوال السلف الزنجبيل والكمأة والخبز فذكرها على سبيل التمثيل، ونبّه بقوله: «ومنه» إلى دخولها في هذا المعنى الجامع وتضمنها له، وقد ورد في السنّة ما يؤكد هذا المعنى في قول النبي ﷺ: "الكمأة من المنّ، وماؤها شفاء للعين(١٥٠)"، حيث جعل رسول الله ﷺ الكمأة من المن، وليست هي وحدها(١٥١)، وهذا المثال فيه معالجة وتحريرٌ لأقوال السلف، وصياغة حسنة للمعنى الجامع لأقوالهم.

ومن الأمثلة أيضًا:

في قوله تعالى: ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الواقعة:٨٩]

---

(١٤٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٧٠١/١)، وابن أبي حاتم (١١٥/١).

(١٤٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٧٠١/١)، وابن أبي حاتم (١١٤/١).

(١٤٧) أخرجه الطبري في تفسيره (٧٠٠/١)، وابن أبي حاتم (١١٥/١).

(١٤٨) أخرجه الطبري في تفسيره (٧٠١/١).

(١٤٩) تفسير ابن سعدي (٦٣/١).

(١٥٠) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: التفسير، ب: ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ ﴾ ح:٤٤٧٨ (ص:١٠٩٧)، ومسلم في صحيحه، ك: الأشربة، ب: فضل الكمأة ومداواة العين بها، ح:٢٠٤٩ (١٦٢٠/٣).

(١٥١) ينظر: تفسير ابن كثير (٤٠٢/١).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، - المجلد (١٧)، العدد (٤)، ص ص ٣٤٦٦ – ٣٥١٩ (شعبان ١٤٤٥هـ /مارس٢٠٢٤م)

رُوي عن السلف في معنى ﴿ وَرَيۡحَانٗ ﴾ عن ابن عباس قال: "يعني بالريحان المستريح من الدنيا"(١٥٢)، وعن أبي العالية: "لم يكن أحدٌ من المقربين يُفارق الدنيا حتى يُؤتى بغصنٍ من ريحان الجنة فيَشُمُّه، ثم يُقبض"(١٥٣)، وبنحوه عن الحسن البصري(١٥٤)، وقتادة(١٥٥)، وعن سعيد بن جبير قال: "الرزق"(١٥٦)، وبمثله عن مجاهد والضحاك(١٥٧) ومقاتل بن سليمان(١٥٨).

قال ابن سعدي في تفسيره: «﴿ وَرَيۡحَانٗ ﴾: **وهو اسم جامع لكل لَذّة بدنيّة من أنواع المآكل والمشارب وغيرها، وقيل: الريحان هو الطيب المعروف، فيكون من باب التعبير بنوع الشيء عن جنسه العام**»(١٥٩).

يلاحظ تعامل ابن سعدي مع أقوال السلف في معنى الريحان، فذَكَر أولًا المعنى الجامع للريحان بأنه: «اسم جامع لكل لذة بدنيّة»، وهذا هو الأسلوب الصريح في صياغة المعنى الجامع.

ثم حكى بعد ذلك أحد أقوال السلف فقال: «وقيل: الريحان هو الطيب المعروف»، ولعله نبّه عليه خصوصًا لأنه المعنى الظاهر من معاني كلمة الريحان، فذكره تنبيهًا لاحتماله، ووجّهه بقوله: «فيكون من باب التعبير بنوع الشيء عن جنسه العام»، وهذا المثال يكشف لنا الجانب الخفي في تعامل ابن سعدي مع أقوال السلف بالمعنى الجامع، فهو يستحضر الأقوال، ويرى إمكان إرجاعها إلى معنى جامع، وقد يُنبّه إلى معنى يوجب التنبيه عليه لسياقه أو ظهوره أو غير ذلك من الأسباب(١٦٠).

---

(١٥٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٧٧/٢٢).

(١٥٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٧٨/٢٢)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٨/٨) إلى ابن أبي حاتم.

(١٥٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٧٨/٢٢).

(١٥٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٧٨/٢٢)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٧/٨) إلى ابن أبي حاتم.

(١٥٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٧٧/٢٢).

(١٥٧) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٧٧/٢٢).

(١٥٨) تفسير مقاتل بن سليمان (٢٢٥/٤).

(١٥٩) تفسير ابن سعدي (١٧٧٢/٤).

(١٦٠) للمزيد من الأمثلة عند ابن سعدي ينظر تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗ ﴾ (٣٤٣/١).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، - المجلد (١٧)، العدد (٤)، ص ص ٣٤٦٦ – ٣٥١٩ (شعبان ١٤٤٥هـ /مارس٢٠٢٤م)

٢–ومن أساليبه: أن ينص على الكليّة في صياغة المعنى الجامع، ومثاله:

في قوله تعالى: ﴿ يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ ﴾ [سبأ:١٣]

قد رُوي عن السلف في معنى ﴿مَّحَٰرِيبَ ﴾: عن مجاهد قال: "بنيان دون القصور"(١٦١)، وعن الضحاك: المساجد(١٦٢)، وبمثله عن مقاتل بن سليمان(١٦٣)، وعن عطية العوفي: أنها القصور(١٦٤)، وعن قتادة قال: "قصور ومساجد"(١٦٥)، وعن ابن زيد قال: "المحاريب: المساكن، وقرأ قول الله: ﴿ فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ ﴾ [آل عمران:٣٩]"(١٦٦).

قال ابن سعدي في تفسيره: «﴿مِن مَّحَٰرِيبَ ﴾: **وهو كلُّ بناء يُعقد وتحكم به الأبنية، فهذا فيه ذكر الأبنية الفخمة**»(١٦٧).

تعامل ابن سعدي مع أقوال السلف المتعددة في معنى المحاريب، بالمعنى الجامع، وصاغها في معنى كلي يعبّر عنها فقال: «كل بناء يُعقد وتحكم به الأبنية»، وهذا المعنى ترجع إليه جميع الأقوال من القصور والبنيان والمساكن، والمساجد كذلك، وبهذا أرجع ابن سعدي أقوال السلف المتعددة كلّها إلى معنى كلي واحد يجمعها(١٦٨).

٣–ومن أساليبه: صياغة المعنى الجامع بأسلوب التعريفات الحديّة، ومثاله:

---

(١٦١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣٠/١٩)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١٧٢/١٢) إلى ابن أبي حاتم.

(١٦٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣١/١٩).

(١٦٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٥٢٧/٣).

(١٦٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور (١٧٢/١٢) إلى ابن أبي حاتم.

(١٦٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣٠/١٩)، وعزاه السيوطي في الدر (١٧٣/١٢) إلى ابن أبي حاتم.

(١٦٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣١/١٩).

(١٦٧) تفسير ابن سعدي (١٤١١/٣).

(١٦٨) للمزيد من الأمثلة عند ابن سعدي بمثل هذا الأسلوب ينظر تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ ﴿٧٦﴾ ﴾ (١٧٦١/٤)، وقوله تعالى: ﴿ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا ﴾ (٤٠١/١).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، - المجلد (١٧)، العدد (٤)، ص ص ٣٤٦٦ – ٣٥١٩ (شعبان ١٤٤٥هـ /مارس٢٠٢٤م)

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآ﴾ [فصلت:٤٠]

قد رُوي عن ابن عباس ﷺ في معنى الإلحاد أنه قال: "هو أن يوضع الكلام على غير موضعه"(١٦٩)، وعن مجاهد قال: "المُكَا، وما ذُكر معه"(١٧٠)، وعن قتادة قال: "يُكَذّبون في آياتنا"(١٧١)، وعن السديّ قال: "يُشاقون، يُعاندون"(١٧٢)، وعن ابن زيد قال: "هؤلاء أهل الشرك. وقال الإلحاد: الكفر والشرك"(١٧٣).

قال ابن سعدي في تفسيره: **«الإلحاد في آيات الله: الميل بها عن الصواب بأي وجه كان: إما بإنكارها وجحودها، وتكذيب من جاء بها، وإما بتحريفها وتصريفها عن معناها الحقيقي، وإثبات معان لها ما أرادها الله منه»**(١٧٤).

يلاحظ صياغة ابن سعدي لمعنى الإلحاد في آيات الله، حيث صاغه بأسلوب التعريفات الحديّة، فقال: «الإلحاد في آيات الله: الميل بها عن الصواب بأي وجه كان» وهذا تعريف حديّ جامع ترجع إليه جميع أقوال السلف الواردة(١٧٥).

ومما يلاحظ في هذا المثال تضمّن المعنى الجامع للأصل اللغوي لمعنى الإلحاد؛ فمعنى الإلحاد في اللغة: الميل، واللحد: هو

---

(١٦٩) أخرجه الطبري في تفسيره (٤٤١/٢٠).

(١٧٠) أخرجه الطبري في تفسيره (٤٤٠/٢٠).

(١٧١) أخرجه الطبري في تفسيره (٤٤١/٢٠).

(١٧٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٤٤١/٢٠).

(١٧٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٤٤١/٢٠).

(١٧٤) تفسير ابن سعدي (١٥٧٦/٤).

(١٧٥) للمزيد من الأمثلة في هذا الأسلوب عند ابن سعدي ينظر تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ (٧٧٠/٢)،وقوله تعالى: ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ﴾ (٣٠١/١)، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ۝٧٢﴾ (١٢/٣ ٠٩)، وقوله تعالى:﴿وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ﴾ (١٧٥٣/٤)، وقوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ (٢٠٠١/٤)، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾(١٢٢٣/٣)، وقوله تعالى:﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ (٣٣/١).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، - المجلد (١٧)، العدد (٤)، ص ص ٣٤٦٦ – ٣٥١٩ (شعبان ١٤٤٥هـ /مارس٢٠٢٤م)

الشقّ في جانب القبر(١٧٦) وألحد فلان: مال عن الحق(١٧٧)، وهذا بلا شك مما يزيد المعنى وضوحًا في التفسير(١٧٨)، ومع أن اهتمام ابن سعدي في الدرجة الأولى كان بالمعنى المقصود من الآية؛ إلا أن إفادته من المعاني اللغوية في تحرير المعاني الجامعة؛ تبدو ظاهرة جليّة كما في هذا المثال(١٧٩).

المطلب الثاني: الصياغة التفسيرية للمعنى الجامع على سبيل الإيجاز

يمكن وصف هذا الأسلوب بأنه: اتجّاه ابن سعدي إلى صياغة المعنى الجامع في كلمة أو جملة موجزة، معبّرة عن أقوال السلف دالة عليها.

ولعله يسلك هذا الأسلوب –فيما يظهر– عندما يكون التعبير عن الأقوال بالمعنى الجامع ممكنًا في جملة أو كلمة واحدة، فلا يُحتاج فيها إلى تفصيل وتطويل، وفيما يأتي أمثلة يتضح بها المقصود:

في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ١١٣ ﴾ [المؤمنون:١١٣]

---

(١٧٦) ينظر: تهذيب اللغة (٢٤٣/٤)، ولسان العرب (٣٨٨/٣) مادة لحد.

(١٧٧) المفردات في غريب القرآن (ص:٧٣٧).

(١٧٨) وقد يحسنُ ذكر المعنى اللغوي مع تفسير السلف ليزداد الوضوح في التفسير ولتُعرف العلاقة بين التفسير على المعنى والتفسير اللغوي. ينظر: التفسير اللغوي (ص: ٦٦٠).

(١٧٩) ومن الأمثلة على إفادته من الأصول اللغوية في سبك المعاني الجامعة لأقوال السلف، ينظر تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ ﴾ (١٢٤/١)، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ ﴾ (١٢٤/١)، وقوله تعالى: ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ (١١١٩/٣)، وقوله تعالى: ﴿ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ١٥ ﴾ (١٩٣٧/٤)، وقوله تعالى: ﴿ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩ ﴾ (٨٢٣/٢)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗا ﴾ (١٧٣/١)، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ﴾ (١٥٤٧/٤).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، - المجلد (١٧)، العدد (٤)، ص ص ٣٤٦٦ – ٣٥١٩ (شعبان ١٤٤٥هـ /مارس٢٠٢٤م)

رُوي في المعنيّ بالعادّين: عن مجاهد قال: "الملائكة"(١٨٠)، وعن عكرمة: "الذين يَحسبون"(١٨١)، وبنحوه عن قتادة(١٨٢)، وعن مقاتل بن سليمان قال: "فسل الحُسّاب، يعني ملك الموت وأعوانه"(١٨٣).

قال ابن سعدي في تفسيره: «﴿ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ ﴾: **أي: الضابطين لعدده، وأما هم ففي شغل شاغل، وعذاب مذهل عن معرفة عدده**»(١٨٤).

تعامل ابن سعدي مع أقوال السلف بالمعنى الجامع، حيث جمع بينها وصاغها في جملة مفردة، فقال: «الضابطين لعدده»، وهذا الوصف الجامع الموجز جائز أن يُطلق على الملائكة، وجائز أن يُطلق على الحُسّاب من غير الملائكة(١٨٥)، وهذا المعنى فيه جمع لأقوال السلف، وأخذٌ بدلالة ظاهر اللفظ أيضًا(١٨٦)، فصارت هذه الجملة المفردة جامعة كافية في الدلالة على المراد.

---

(١٨٠) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣١/١٧)، وابن أبي حاتم (٢٥١٢/٨).

(١٨١) أخرجه ابن أبي حاتم (٢٥١١/٨).

(١٨٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣٢/١٧)، وابن أبي حاتم (٢٥١١/٨).

(١٨٣) تفسير مقاتل بن سليمان (١٦٧/٣).

(١٨٤) تفسير ابن سعدي (١١٤٩/٣).

(١٨٥) وإلى هذا العموم ذهب ابن جرير في تفسيره، ينظر: (١٣٢/١٧).

(١٨٦) ينظر: المحرر الوجيز (٣٢٦/٦).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، – المجلد (١٧)، العدد (٤)، ص ص ٣٤٦٦ – ٣٥١٩ (شعبان ١٤٤٥هـ /مارس٢٠٢٤م)

ومن الأمثلة أيضًا:

في قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الفرقان:١٧]

رُوي عن السلف في المخاطب بقوله: ﴿ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ عن مجاهد أنه قال: "عيسى، وعُزير، والملائكة"(١٨٧)، وعن الضحاك وعكرمة: أنهم الأصنام(١٨٨)، وعن مقاتل بن سليمان: أنهم الملائكة(١٨٩).

قال ابن سعدي في تفسيره: **«يُخبر تعالى عن حالة المشركين وشركائهم يوم القيامة وتبرّيهم منهم وبطلان سعيهم، فقال:** ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ ﴾؛ **أي: المكذّبين المشركين،** ﴿ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ﴾: **الله مخاطبًا للمعبودين على وجه التقريع لمن عبدهم:** ﴿ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴾ : **هل أمرتُموهم بعبادتكم وزيَّنتُم لهم ذلك أم ذلك من تلقاء أنفسهم؟»**(١٩٠).

تعامل ابن سعدي مع أقوال السلف في المخاطب بهذه الآية بالمعنى الجامع، وعبّر عن المعنى بكلمة واحدة جامعة: وهي: «للمعبودين»، فدخل فيها عيسى وعُزير والملائكة، ودخل فيها كذلك الأصنام، ولعلّ توجيه مخاطبة الله للأصنام أن الله يأذن لها بالكلام، ليكون أبلغ في خزي الكفرة(١٩١)، فصارت هذه الكلمة الجامعة المفردة كافية في الدلالة على الأقوال(١٩٢).

---

(١٨٧) أخرجه الطبري في تفسيره (٤١٥/١٧)، وابن أبي حاتم (٢٦٧٢/٨).

(١٨٨) تفسير الثعلبي (١٢٧/٧).

(١٨٩) تفسير مقاتل بن سليمان (٢٢٩/٣).

(١٩٠) تفسير ابن سعدي (١١٩٢/٣).

(١٩١) ينظر: المحرر الوجيز (٤٢٥/٦).

(١٩٢) للمزيد من الأمثلة عند ابن سعدي، ينظر تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ ﴾ (١٥٤٧/٤)، وقوله تعالى: ﴿ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ ﴾ (١٩٣٧/٤)، وقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ (٧٢٨/٢)، وقوله تعالى: ﴿ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾ (١١٩٦/٣)، وقوله تعالى: ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ ﴾ (٤٦٨/١)،

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، – المجلد (١٧)، العدد (٤)، ص ص ٣٤٦٦ – ٣٥١٩ (شعبان ١٤٤٥هـ /مارس٢٠٢٤م)

المبحث الثالث: منزلة المعنى الجامع عند ابن سعدي

إن مما لا شك فيه أن للمعنى الجامع منزلته وقيمته عند ابن سعدي في تفسيره، وهذا المبحث يُساهم في الكشف عن هذه المنزلة، وتتمثل منزلته فيما يلي:

المطلب الأول: عناية ابن سعدي بالألفاظ القرآنية الجامعة عمومًا

إن من الجوانب التي تكشف عن منزلة المعنى الجامع عند ابن سعدي، عنايته بألفاظ القرآن الكريم التي لها دلالة جامعة على المعاني، فيكون اللفظ القرآني معنى جامعًا بذاته، وقد قرر ابن القيم هذا الوصف في ألفاظ القرآن فقال: "هذا هو المعهود من ألفاظ القرآن كلها، أنها تكون دالة على جملة معان؛ فيُعبر هذا عن بعضها وهذا عن بعضها واللفظ يجمع ذلك كله"(١٩٣).

وقد قعّد ابن سعدي لهذا الأصل في كتابه: "القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن" فذكر قاعدةً سمّاها: قاعدةٌ في اشتمال كثير من ألفاظ القرآن الكريم على جوامع المعاني، فقال: **«وأما نفس ألفاظ القرآن الكريم فإن كثيرًا منها من الألفاظ الجوامع، وهي من أعظم الأدلة على أنها تنزيل من حكيم حميد»**(١٩٤)، ثم سرد أمثلة كثيرة لهذه الألفاظ القرآنية الجامعة، مما يؤكد عناية ابن سعدي بالألفاظ الجامعة عمومًا، وحرصه على تتبعها واستقرائها.

ومما قال ﵀ في تفسيره وهو يصف كلام الله وبيانه: **«وحتى إنه تعالى يجمع في اللفظ القليل الواضح؛ معاني كثيرة يكون اللفظ لها كالقاعدة والأساس»**(١٩٥)، لذا فإنك تجد في تفسيره لبعض الآيات يلفت النظر إلى ألفاظ القرآن الجامعة للمعاني، ويُفصّل في حسن دلالتها، ومن أمثلة ذلك:

في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ ﴾ (١٧٦٣/٤)، وقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾ (١٤٢٦/٣)، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ ﴾ (١٩٩٦/٤).

(١٩٣) جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام (ص:٤٣٧).

(١٩٤) القواعد الحسان (ص:١٤٠).

(١٩٥) تفسير ابن سعدي (٨٩٦/٢).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، - المجلد (١٧)، العدد (٤)، ص ص ٣٤٦٦ – ٣٥١٩ (شعبان ١٤٤٥هـ /مارس٢٠٢٤م)

تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ﴾ [النساء:٢٩]

قال معلقًا على ألفاظ الآية: **«وتأمل هذا الإيجاز والجمع في قوله:** ﴿ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم ﴾ ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ﴾**؛ كيف شمل أموال غيرك ومال نفسك، وقتل نفسك وقتل غيرك بعبارة أخصر من قوله: "لا يأكل بعضكم مال بعض" و "لا يقتل بعضكم بعضًا"؛ مع قصور هذه العبارة على مال الغير ونفس الغير فقط، مع أن إضافة الأموال والأنفس إلى عموم المؤمنين فيه دلالة على أن المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ومصالحهم كالجسد الواحد، حيث كان الإيمان يجمعهم على مصالحهم الدينية والدنيوية»**[١٩٦].

فقوله: «وتأمل هذا الإيجاز والجمع» لفتٌ للأنظار إلى ما في لفظ القرآن من المعاني الجامعة الدالة، ووصفٌ لهذا اللفظ بأنه جامع، ثم فصّلَ ما يتضمنه هذا اللفظ، وقارَن في الدلالة بينه وبين غيره، وهذه الوقفة من ابن سعدي مع هذا اللفظ تؤكد عنايته بالألفاظ الجامعة القرآنية، ودقة نظره في معرفة دلالاتها.

ومن الأمثلة أيضًا:

في قوله تعالى: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥ ﴾ [سورة الضحى:٥]

قال ابن سعدي في تفسيره: **«ثم بعد ذلك لا تسأل عن حاله في الآخرة، من تفاصيل الإكرام وأنواع الإنعام، ولهذا قال:** ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥ ﴾ **وهذا أمر لا يمكن التعبير عنه بغير هذه العبارة الجامعة الشاملة»**[١٩٧].

يُلاحظ كيف أن ابن سعدي لم يفسّر ألفاظ الآية ومفرداتها، بل وصفها بأنها جامعة شاملة، حتى أنه لا يمكن التعبير عنها بغير هذه العبارة الجامعة الشاملة، وكأنه يلفت النظر إلى عظمة هذه الآية وسعة دلالة ما أعطى الله نبيه ﷺ من الخيرات الغزيرة في الدنيا والآخرة[١٩٨].

---

(١٩٦) تفسير ابن سعدي (١/٣٠٠).

(١٩٧) تفسير ابن سعدي (٤/١٩٧٧).

(١٩٨) للمزيد من الأمثلة عند ابن سعدي ينظر تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ﴾

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، - المجلد (١٧)، العدد (٤)، ص ص ٣٤٦٦ – ٣٥١٩ (شعبان ١٤٤٥هـ /مارس٢٠٢٤م)

ومن الأمثلة التي تبين عنايته باللفظ القرآني الجامع، وعلاقته بتفسير كلام الله، تفسيره لقوله تعالى: ﴿ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ [آل عمران: ٩٧]

قال ابن سعدي: **«أوجب الله حجّه على المكلفين المستطيعين إليه سبيلًا، وهو الذي يقدر على الوصول إليه بأي مركوب يناسبه وزاد يتزوده، ولهذا أتى بهذا اللفظ الذي يمكنه تطبيقه على جميع المركوبات الحادثة والتي ستحدث، وهذا من آيات القرآن حيث كانت أحكامه صالحة لكل زمان وكل حال ولا يمكن الصلاح التام بدونها»**(١٩٩).

وهذه العناية العامة من ابن سعدي بالألفاظ الجامعة وتأصيله لها؛ تؤكد منزلة المعنى الجامع عنده خصوصًا في تفسيره لكلام الله(٢٠٠).

المطلب الثاني: تقديم ابن سعدي قول السلف الجامع للأقوال الأخرى في الآية

هذا المعلم من أبرز المعالم التي تبيّن عنايته بأقوال السلف من جهة، وبمنزلة المعنى الجامع عنده من جهة أخرى، فهو يقدم ويختار قول السلف الذي يكون جامعًا لبقية الأقوال في الآية متضمنًا لها، ومن الأمثلة التي صرّح فيها بذلك:

في قوله تعالى: ﴿ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ ﴾ [النساء:٣٦]

رُوي في معنى الصاحب بالجنب عن علي وابن مسعود ﷺ قالا: "الرفيق الصالح"(٢٠١)، وعنهما أيضًا: "هي المرأة"(٢٠٢)

(١٦١٨/٤)،وقوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى وَيَنْهَىٰ ٱلْقُرْبَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ﴾ (٨٩٧/٢)، وقوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ ٱلْيُسْرَ بِكُمُ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ (١٣٧/١)، وقوله تعالى: ﴿ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ (٢٣٠/١).

(١٩٩) تفسير ابن سعدي (٢٣٠/١).

(٢٠٠) ومما يلحق بهذا الملمح في العناية بالمعاني الجامعة ما أورده في تفسيره بعنوان: أصول وكليات التفسير، فقد ذكر في آخره أسماء الله الحسنى ومعانيها الجامعة ونص على ذلك، ينظر (٢٣/١).

(٢٠١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣/٧)، وابن أبي حاتم (٩٤٩/٣).

(٢٠٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/٧)، وابن أبي حاتم (٩٤٩/٣).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، - المجلد (١٧)، العدد (٤)، ص ص ٣٤٦٦ – ٣٥١٩ (شعبان ١٤٤٥هـ /مارس٢٠٢٤م)

وبمثله عن عبد الرحمن بن أبي ليلى وإبراهيم النخعي(٢٠٣)، وعن ابن عباس ﷺ قوله: "يعني الذي معك في منزلك"(٢٠٤)، وفي رواية عنه قال: الملازم(٢٠٥)، وفي رواية: الرفيق في السفر(٢٠٦)، وبمثله عن سعيد بن جبير ومجاهد والضحاك وقتادة(٢٠٧)، وعن زيد بن أسلم قال: "هو جليسك في الحضر، ورفيقك في السفر"(٢٠٨)، وعن ابن زيد قوله: "الذي يلصق بك وهو إلى جنبك، ويكون معك إلى جنبك رجاء خيرك ونفعك"(٢٠٩).

قال ابن سعدي في تفسيره: «﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ **قيل: الرفيق في السفر، وقيل: الزوجة، وقيل: الصاحب مطلقًا، ولعله أولى؛ فإنه يشمل الصاحب في الحضر والسفر ويشمل الزوجة، فعلى الصاحب لصاحبه حق زائد على مجرد إسلامه، من مساعدته على أمور دينه ودنياه، والنصح له، والوفاء معه في اليسر والعسر والمنشط والمكره، وأن يحب له ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه، وكلما زادت الصحبة؛ تأكد الحق وزاد**»(٢١٠).

حكى ابن سعدي الأقوال الواردة في هذه الآية، فذكر أولًا الرفيق في السفر وهي أحد الروايات عن ابن عباس ﷺ، وذكر الزوجة وهو وارد عن علي وابن مسعود ﷺ، ثم ذكر أنه الصاحب مطلقًا، وهو قريب من القول الأول، وجعله هو الأولى، وعلل ذلك فقال: «ولعله أولى؛ فإنه يشمل الصاحب في الحضر، والسفر، ويشمل الزوجة» فأخذ بالمعنى الجامع لهذه الأقوال وهو الصاحب مطلقًا، وبيّن أنه مشتمل على الأقوال الأخرى، وهذا من حسن تحريره ودقة نظره في الأقوال ومعانيها وما تشتمل عليه، وهو دليل على عنايته بالمعاني الجامعة الموافقة أو المطابقة لأقوال السلف.

---

(٢٠٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/٧)، وابن أبي حاتم (٩٤٩/٣).

(٢٠٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/٧).

(٢٠٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/٧).

(٢٠٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/٧)، وابن أبي حاتم (٩٤٩/٣).

(٢٠٧) أخرجه الطبري في تفسيره (١١/٧-١٣).

(٢٠٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٩٤٩/٣).

(٢٠٩) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/٧).

(٢١٠) تفسير ابن سعدي (٣٠٥/١).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، - المجلد (١٧)، العدد (٤)، ص ص ٣٤٦٦ – ٣٥١٩ (شعبان ١٤٤٥هـ /مارس٢٠٢٤م)

ومن الأمثلة أيضًا ما سبق في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ ﴾ فقد ذكر المعنى الجامع الموافق لقول ابن عباس ﷺ(٢١١).

المطلب الثالث: تحرير ابن سعدي المعنى الجامع لأقوال السلف في التفسير

يظهر أن لابن سعدي عناية في تحرير المعنى الجامع لأقوال السلف في تفسيره وهذا يتجلى في أمور، منها:

أ–الدقة في اختيار اللفظ الجامع الذي يُعبر عن المعنى الجامع لأقوال السلف، فقد صرّح في موضع من المواضع أن اللفظ المُعبَّر به أجمع من غيره، وأن غيرَه داخلٌ فيه، فهو الأولى في التعبير، ومثاله:

في قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝٧ ﴾ [الرحمن:٧]

قد رُوي عن السلف في معنى الميزان عن مجاهد قوله: "العدل"(٢١٢)، وعن الحسن البصري والضحاك وقتادة: أنه الذي يُوزن به ليوصل به الإنصاف والانتصاف(٢١٣)، وعن مقاتل بن سليمان قوله: "الذي يزن به الناس، وضعه الله عدلًا بين الناس"(٢١٤).

قال ابن سعدي في تفسيره: «**ووضع الله الميزان أي: العدل بين العباد في الأقوال والأفعال، وليس المراد به الميزان المعروف وحده، بل هو كما ذكرنا، يدخل في الميزان المعروف والمكيال الذي تُكال به الأشياء والمقادير والمساحات التي تُضبط بها المجهولات والحقائق التي يُفْصَل بها بين المخلوقات ويُقام بها العدل بينهم، ولهذا قال:** ﴿ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ﴾ **أي: أنزل الله الميزان لئلا تتجاوزوا الحد في الميزان، فإن الأمر لو كان يرجع إلى عقولكم وآرائكم؛ لحصل من الخلل ما الله**

---

(٢١١) سبق تفصيله (ص:٢٥)، وللمزيد من الأمثلة أيضًا ينظر تفسيره لقوله تعالى: ﴿ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ (٤٠/١)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ ۝٢٠ ﴾ (٨٢٩/٢)، وقوله تعالى: ﴿ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ ﴾ (١٥٣/١)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ ﴾ (١٢٤/١)، وقوله: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝٧ ﴾ (١٧٥٣/٤).

(٢١٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧٨/٢٢).

(٢١٣) تفسير الثعلبي (١٧٨/٩)، تفسير البغوي (٤٤٢/٧).

(٢١٤) تفسير مقاتل بن سليمان (١٩٥/٤).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، - المجلد (١٧)، العدد (٤)، ص ص ٣٤٦٦ – ٣٥١٩ (شعبان ١٤٤٥هـ /مارس٢٠٢٤م)

به عليم، ولفسدت السماوات والأرض ومن فيهنّ»(٢١٥).

مما سبق يتبين أن السلف في معنى الميزان على قولين: الميزان المعروف، والقول الثاني أنه العدل، وقد بيّن ابن سعدي أن المقصود بالميزان في هذه الآية؛ هو العدل بين العباد في الأقوال والأفعال، ولم يقتصر على بيان المعنى الجامع فقط، بل شرع في بيان صفة هذا المعنى واشتماله على القول الآخر، فقال: «وليس المراد به الميزان المعروف وحده» ثم فصّل في تحرير ذلك فقال: «بل هو كما ذكرنا؛ يدخل في الميزان المعروف...والحقائق التي يُفْصَل بها بين المخلوقات ويُقام بها العدل بينهم»، فظهر في هذا الموضع تحريره وجمعه وتحريّه في اختيار الألفاظ والعبارات الملائمة التي تجمع ما رُوي من أقوال، مما يدل على قصدٍ للتوفيق، وعناية باللفظ الجامع(٢١٦)، وهو مع هذا قد تابع مجاهد في أن المقصود بالميزان هنا: العدل، وهذا من المواضع التي اختار فيها ابن سعدي قول السلف الجامع للأقوال الأخرى كما بينا في المعلم السابق.

ب- البراعة في سبك المعنى الجامع لأقوال السلف المتنوعة:

ترتفع قيمة المعنى الجامع وتبرز أهميته كلما كثرت أقوال السلف وتنوعت في تفسير الآية، وعند ذلك يكون من الأهمية للمفسر بيان المعنى التفسيري والتعبير عن الأقوال أو الموائمة بينها بعبارة جامعة محررة.

ومن مواطن ظهور هذه المنزلة: أن بعض المواضع قد تصل الأقوال فيها عن السلف إلى أكثر من عشرة أقوال، تختلف فيها عباراتهم وتفسيراتهم، فيظهر عند ذلك حسن تعامل المفسّر مع هذه الأقوال، ومن أمثلته:

في قوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ [الإسراء:٨٠]

رُوي في معنى المدخل والمخرج عن ابن عباس ﷺ قال: "كان النبي ﷺ بمكة، ثم أُمر بالهجرة، فأنزل الله تبارك وتعالى اسمه: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾"، وبنحوه عن قتادة وابن زيد(٢١٧)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما –

---

(٢١٥) تفسير ابن سعدي (١٧٥٣/٤).

(٢١٦) وينظر أيضًا تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا ﴾ (١١٦٥/٣)، وقوله تعالى: ﴿ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ (٢٣٠/١).

(٢١٧) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٤/١٥).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، - المجلد (١٧)، العدد (٤)، ص ص ٣٤٦٦ – ٣٥١٩ (شعبان ١٤٤٥هـ /مارس٢٠٢٤م)

في رواية- قال: "يعني بالإدخال الموتَ، والإخراج الحياة بعد الممات"(٢١٨)، وعن مجاهد قال: "فيما أرسلتني به من أمرك"(٢١٩)، وعن الضحاك قال: "يعني مكة، دخَل فيها آمنًا، وخرج منها آمنًا"(٢٢٠)، وعن الحسن البصري قال:" ﴿مُدۡخَلَ صِدۡقٍ﴾: الجنة و ﴿مُخۡرَجَ صِدۡقٍ﴾: من مكة إلى المدينة"(٢٢١)، وعن أبي صالح باذام قال: "أدخلني في الإسلام مدخل صدق، وأخرجني منه مخرج صدق"(٢٢٢).

قال ابن سعدي في تفسيره: **«أي: اجعل مداخلي ومخارجي كلها في طاعتك وعلى مرضاتك، وذلك لتضمنها الإخلاص وموافقة الأمر»**(٢٢٣).

تبين باستعراض أقوال السلف في المقصود بالمدخل والمخرج، تعددها وتنوعها حتى وصلت لأكثر من ستة أقوال في المسألة، وقد تعامل ابن سعدي مع هذه الأقوال بالمعنى الجامع، فجعل المقصود بذلك المداخل والمخارج أن تكون في طاعة الله ومرضاته، وعلى هذا المعنى الجامع يصحّ أن يكون المدخل: المدينة أو الإسلام أو النبوة أو الجنة أو الموت، وبالمخرج كذلك: مكة أو الرسالة أو الموت أو الحياة بعد الموت، والمقصود بيانه هنا: قيمة المعنى الجامع الذي سبكه ابن سعدي في بيان الآية الكريمة حيث كثرت الأقوال وتنوعت(٢٢٤).

المطلب الرابع: كثرة تطبيقات المعنى الجامع عند ابن سعدي في تفسيره

إن من الجوانب التي تكشف عن منزلة المعنى الجامع عند ابن سعدي: كثرة تطبيقاته لهذا المفهوم في تفسيره، فقد تبين من

---

(٢١٨) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٦/١٥)، وعزاه السيوطي في الدر (٤٢٩/٩) إلى ابن أبي حاتم.

(٢١٩) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٦/١٥).

(٢٢٠) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٧/١٥).

(٢٢١) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٧/١٥).

(٢٢٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٧/١٥).

(٢٢٣) تفسير ابن سعدي (٩٣٤/٣).

(٢٢٤) للمزيد من الأمثلة ينظر تفسير ابن سعدي لقوله تعالى: ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ (٣١٤/١)، وقوله تعالى: ﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ﴾ (١٧٣٨/٤).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، – المجلد (١٧)، العدد (٤)، ص ص ٣٤٦٦ – ٣٥١٩ (شعبان ١٤٤٥هـ /مارس٢٠٢٤م)

خلال جرد التفسير وتتبع المواضع وجمعها، أن تطبيقات تعامل ابن سعدي مع أقوال السلف بالمعنى الجامع تجاوزت سبعة وتسعين ومئة موضع، تقدر نسبتها بـــ ٢٧٪ تقريبًا نسبةً لبقية الطرق الخمسة التي سلكها في تعامله مع أقوال السلف، وهذه الكثرة في تطبيقات المعنى الجامع لأقوال السلف تدلّ على أولوية وعناية بهذه الطريقة في التعامل مع أقوال السلف المتنوعة، فهو لم يجمع بين أقوال السلف فحسب، بل صاغها بطريقة جامعة يسيرة الفهم.

وتُدرك هذه الطريقة وتُعلم قيمتها في تفسيره بمقارنة أقوال السلف وملاحظتها في مواضعها عنده، ولذلك فإن من مميزات تفسيره أنك تجد العالم يفهمه فهمًا عميقًا؛ بما حوت عباراته من معانٍ وتضمنت من أقوال، ويفهمه العاميّ فهمًا يسيرًا كاملًا دون لَبس أو تشتت، فهو تفسيرٌ للمبتدئ والمنتهي، وقد ألمح لذلك ابن عقيل في مقدمته لتفسير ابن سعدي، وأشار إلى أن تفسيره من السهل الممتنع، حيث سُبك بعبارات سهلة واضحة يفهمها عامة الناس، ويستفيد منها طلاب العلم(٢٢٥)، والله أعلم.

(٢٢٥) ينظر: مقدمة الشيخ ابن عقيل في تفسير ابن سعدي.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، - المجلد (١٧)، العدد (٤)، ص ص ٣٤٦٦ – ٣٥١٩ (شعبان ١٤٤٥هـ /مارس٢٠٢٤م)

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، أما بعد: ففي ختام هذا البحث تأتي نتائجه، وهي:

١. أن ابن سعدي قد تعامل بالمعنى الجامع مع أقوال السلف التي من قبيل خلاف التنوع سواء كانت الأقوال ترجع إلى معنى واحد، أم إلى أكثر من معنى.
٢. أن دلالة المعنى الجامع عند ابن سعدي على أقوال السلف جاءت إما صراحة بما يورده تمثيلًا وحصرًا، وإما إشارة بما يُضمّنه المعنى الجامع من أقوال.
٣. تنوعت أساليب الصياغة التفسيرية للمعنى الجامع عند ابن سعدي بين التفصيل والإيجاز.
٤. تجلت منزلة المعنى الجامع عند ابن سعدي بكثرة تطبيقاته وتنوع أساليبه، وتحريره لألفاظه، وتقديم القول الجامع من أقوال السلف واعتباره.

وأهم توصية للبحث: دراسة المعنى الجامع عند ابن سعدي –دراسة تطبيقية، وذلك بموازنة أقوال السلف بالمعنى الجامع عند ابن سعدي، ودلالته عليها، وأساليب التعبير عنها، وغير ذلك من المسائل التفصيلية.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، - المجلد (١٧)، العدد (٤)، ص ص ٣٤٦٦ – ٣٥١٩ (شعبان ١٤٤٥هـ /مارس٢٠٢٤م)

سارة بنت سعد بن فواز الصميل

Abstract

The study aims to study the formulation and methodology of "aggregative meaning" in Ibn Saʿdee's exegesis, and its relation to the statements of the Salaf (pious predecessors). It also highlights the bearing it has on Ibn Saʿdee's exegesis. The study follows the inductive and analytically descriptive approach, and the most important results of the research are the following:

Ibn Saʿdee has employed "aggregative meaning" to deal with the different statements of the Salaf (pious predecessors) concerning the meaning of a verse, be their difference in how they express the same meaning, or be it based on differing meanings.

Furthermore, Ibn Saʿdee's "aggregative meaning" represents and illustrates the statements of the Salaf, either explicitly by the way to incorporating them as examples or types, or implicitly through the incorporation of their meaning into it.

Ibn Saʿdee's has employed various methods for formulation the expression of the "aggregative meaning".

Moreover, the study highlights the importance of the "aggregative meaning" in the sight of Ibn Saʿdee, as evident from the many applications, the diversity of it expressions, the care with which he formulates their words, and his adoption of the most comprehensive saying among the sayings of the Salaf.

The researcher recommends post-graduate students in the field of the Qur'an and its sciences to study the "aggregative meaning" of Ibn Saʿdee in an applied study.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، - المجلد (١٧)، العدد (٤)، ص ص ٣٤٦٦ – ٣٥١٩ (شعبان ١٤٤٥هـ /مارس٢٠٢٤م)

ثبت المصادر والمراجع

- **أسباب نزول القرآن**، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي [ت:٤٦٨]، تحقيق: د.ماهر ياسين الفحل، دار الميمان، الطبعة الأولى.
- **إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان**، ابن القيم الجوزية، تحقيق: علي الحلبي، دار ابن الجوزي.
- **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية [ت:٧٢٨هـ]، تحقيق: د.ناصر بن عبد الكريم العقل، دار إشبيليا، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.
- **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**، لأبي حاتم محمد بن حبّان [ت:٣٥٤هـ]، ترتيب: ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- **الأمالي المطلقة**، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني [ت:٨٥٢هـ]، تحقيق: حمدي السلفي، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- **البرهان في علوم القرآن**، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي [ت: ٧٩٤هـ] تحقيق: أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث، ١٤٢٧هـ.
- **التسهيل لعلوم التنزيل**، لأبي القاسم محمد بن أحمد بن جزيّ الكلبي [ت:٧٤١هـ]، تحقيق: علي بن حمد الصالحي، دار طيبة الخضراء، الطبعة الأولى، ١٤٣٩هـ.
- **التعليق على القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن**، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ.
- **التفسير اللغوي**، أ.د.مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- **الجامع في أحكام القرآن**، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي [ت:٦٧١]، تحقيق: د.عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة.
- **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، جلال الدين السيوطي [ت:٩١١]، تحقيق: د.عبد الله التركي، مركز هجر للبحوث

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، - المجلد (١٧)، العدد (٤)، ص ص ٣٤٦٦ – ٣٥١٩ (شعبان ١٤٤٥هـ /مارس٢٠٢٤م)

والدراسات العربية والإسلامية.

- **القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن**، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: د.خالد السبت، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ.
- **الكشف والبيان**، أبو إسحاق أحمد المعروف بالثعلبي [ت:٤٢٧هـ]، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى.
- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، عبدالحق بن عطية الأندلسي [ت:٥٤٦]، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية–دولة قطر، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ.
- **المفردات في غريب القرآن**، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني [ت:٥٠٢هـ]، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- **الموافقات**، إبراهيم بن موسى بن محمد الغرناطي، الشاطبي [ت:٧٩٠هـ]، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار عفان.
- **النكت والعيون**، علي بن محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية.
- **بدائع الفوائد**، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية [ت:٧٥١هـ]، تحقيق: علي بن محمد العمران، مكة المكرمة، دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.
- **تفسير البغوي**، أبو محمد، الحسين بن مسعود البغوي [ت:٥١٦هـ]، تحقيق: محمد النمر، وعثمان ضميرية، وسليمان الحرش، دار طيبة.
- **تفسير الراغب الأصفهاني**، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني [ت:٥٠٢هـ]، تحقيق: د.محمد بسيوني، كلية الآداب–جامعة طنطا، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- **تفسير القرآن العظيم**، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء القرشي الدمشقي، تحقيق: أ.د.حكمت بن بشير ياسين، دار ابن الجوزي، الطبعة الثالثة، ١٤٤٤هـ.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، - المجلد (١٧)، العدد (٤)، ص ص ٣٤٦٦ – ٣٥١٩ (شعبان ١٤٤٥هـ /مارس٢٠٢٤م)

- **تفسير القرآن العظيم مسندًا عن الرسول والصحابة والتابعين**، عبدالرحمن بن أبي حاتم [ت:٣٢٧هـ]، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار الباز.
- **تفسير مقاتل بن سليمان**، مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، تحقيق: عبدالله محمود شحاتة فريد، مؤسسة التاريخ العربي.
- **تهذيب اللغة**، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي [ت:٣٧٠]، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ٢٠٠١ م.
- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: سعد بن فواز الصميل، دار ابن الجوزي، الطبعة الخامسة، ١٤٤٠هـ.
- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبدالرحمن اللويحق، دار الرسالة.
- **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري [ت:٣١٠]، تحقيق: د.عبد الله بن عبدالمحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، دار هجر.
- **جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام** ﷺ، ابن القيم الجوزية [ت:٧٥١هـ]، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن القيم الجوزية [ت:٧٥١هـ]، تحقيق: زائد بن أحمد النشيري، بإشراف بكر أبو زيد، دار عالم الفوائد.
- **روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين**، محمد بن عثمان بن صالح بن عثمان القاضي، مطبعة الحلبي، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
- **زاد المسير في علم التفسير**، لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي الجوزي القرشي البغدادي [ت:٥٩٧هـ]، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ.
- **سنن سعيد بن منصور**، سعيد بن منصور [ت:٢٢٧هـ]، تحقيق: د.سعد بن عبد الله آل حميد، الرياض : دار الصميعي، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، – المجلد (١٧)، العدد (٤)، ص ص ٣٤٦٦ – ٣٥١٩ (شعبان ١٤٤٥هـ /مارس٢٠٢٤م)

- **شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية**، أ.د.مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي، الطبعة الثالثة، ١٤٣٠هـ.
- **صحيح البخاري "الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه**، محمد بن إسماعيل البخاري [ت:٢٥٦]، دار ابن كثير، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
- **صحيح مسلم**، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري [ت: ٢٦١هـ]، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الحديث، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- **علماء نجد خلال ثمانية قرون**، عبد الله بن عبد الرحمن البسام [ت:١٤٢٣]، دار الميمان، الطبعة الثالثة، ١٤٤١هـ.
- **غاية النهاية في طبقات القراء**، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف [ت: ٨٣٣هـ]، مكتبة ابن تيمية.
- **لسان العرب**، لأبي الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري [ت:٧١١هـ]، دار صادر، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.
- **مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية [ت:٧٢٨هـ]، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٥هـ.
- **مجموع مؤلفات الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي**، دار الميمان، الطبعة الثانية.
- **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، أحمد بن حنبل [ت:٣٤١]، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
- **مقدمة في أصول التفسير**، تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: د.عدنان زرزور، الطبعة الثانية،١٣٩٢هـ.
- **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي [ت: ٧٢٨هـ]، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.